النّيَّل عَبْد القَادِر أبُو قرونْ

# كُلِيَّةُ الإنْسَانْ

# مفتتح

الحمد لله الذي خلق الحمد ، وحمد نفسه بنفسه من نفسه ، حين قال (الحمد لله) الذي تنزّل بتجلياته فكان هو الأوّل والآخر في مجلاه ، تجلّى للقلم فشقه، وبدأ به في لوحه بباء بسم الله ، له الحمد كما ينبغي لعظمته وعلاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ما سبقه عدم ، ولا معه فراغ ولا غير، إذ المعية شرك بالإله ، خالق العدم من غير عدم سابق لأولاه ، وأشهد أن محمداً بن عبدالله ، الذي لولاه ما خلق الله الإنسان وما سوّاه ، كان نبياً وآدم لم يبلغ خلقه منتهاه ، إصطفاه الله وفضله على سائر المخلوقات وحبّه وحيّاه، وأرسله بالحق بشيراً ونذيراً وولاّه ، صلى الله وبارَك عليه وآله ، صلاة دائمة بعد أن يبلغ العمر منتهاه .

وقد جمعت في هذا الكتاب عملين أو «كتيبين» لي كنت قد ألفتهما في فترة مبكرة من حياتي ، ونشرتهما على نطاق ضيق ، وبشكل منفصل بداية السبعينيات من القرن الماضي ، وهما «الصراط المستقيم»، و«كلية الإنسان» وأعتقد أنه قد آن الأوان إلى اصدارهما ، ولهذا قررت أن أجمع بينهما بين دفتي كتاب واحد ، حتى تتحقق الفائدة للقارىء ، وخصوصا الذي لم يطلع عليهما من قبل ، لتباعد الزمن من جهة ، وسوء التوزيع للكتاب العربي من جهة أخرى .

أما الكتاب الأول فهو «الصراط المستقيم» الذي رأيت فيه أن ألقي الضوء على الطريق القويم الذي يوصل إلى السعادة القلبية في الدنيا والآخرة . فقد قال الرسول الأعظم صلى الله وبارك عليه وآله (لأن يُهدَ بك رجل واحد خير لك من حمر النعم)[1] فأرجو منه سبحانه وتعالى أن يكون هذا الذي أجراه على يدي فيه هداية للخلق فأكون من الشاكرين ، وأن لا يجعله فتنة للخلق

[1] البخاري .



www.abugroon.com

فأكون من الخاسرين . وظني في الله كل خير وهو عند ظن العبد به لقوله تعالى على لسان نبيه الكريم (أنا عند ظن عبدي بي)[1] والرسول الأعظم محمد بن عبدالله صلى الله وبارك عليه وآله يقول (ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم)[2] فأرجو الله أن يجعل هذا المؤلف هدى ولا يجعله فتنة وهو المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا به.

أما الكتاب الثاني «كلية الإنسان» فقد تواترت الخواطر وكثرت التأملات مدة من الزمن ليست بالقصيرة ، وهممت بتدوينها وتسجيلها في حينها كلما مر بي خاطر ولم أوفق ، وكنت أحس بشيء من الحزن حين تمر بي فكرة نتيجة لبعض التأملات ولا أدونها ، إذ أنه ليحزنني أن يمر الإنسان بهذه التأملات والعبر ولا يعتبر ، وبما يثير الفكر ولا يتفكّر ، وفي الأيام القليلة الماضية بلغ مني الحزن على ضياع التأملات وتسجيل الخواطر مبلغه ، فأوعزت لصديق عزيز لدي ، كان كثيراً ما يدور بيني وبينه نقاش وتفسير لكثير من الظواهر الكونية ، والحركات والتصرفات الآدمية ، حين تجتمع في ساعات قليلة من اليوم أوعزت له أن يقوم بتدوين هذه المناقشات العلمية ويبدي رأيه وتعليقه عليها بصراحة ولو كان معارضاً.

وقبل أن يبدأ هو في تدوين هذه المناقشات شاء الله أن أقوم بكتابة هذا المؤلف الذي أرجو أن يكون فيه ما يفيد القارىء ، وقد سميته : كلية الإنسان ، وكل ما أتيت به لم يخرج عن دائرة القرآن : **(... مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ...)**[3] لكن الجديد في الأمر ، هو تنبيهي للناس لما ظهر ، إذ ليس هناك شيء خفي أزلت عنه الستر ، بل الحجاب هو عدم التركيز والتدبر ، وهو الغفلة .. **(وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ )**[4] فأكثر الناس يعرفون ما أنا الآن بصدده من الحقائق .. لكن يعرفونها كأجزاء متفرقة ، لا كجسم مترابط يشد بعضه بعضا ، وما دورنا

---

[1] البخاري .
[2] تخريج الإحياء للعراقي.
[3] سورة لأنعام : ٣٨ .
[4] سورة يوسف : ١٠٥ .



www.abugroon.com

إلا الإشارة والتنبيه لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، حتى تتضح الرؤية ، وتكشف الحجب.

وإني أمل أن يصل هذا الكتاب إلى قراء العربية في كل مكان ، وأن يكون شمعة نور وسط العتمة ، وهديا طيبا لكل الباحثين عن الحقيقة .

وصلى الله على سيدنا محمد وبارك عليه وآله



www.abugroon.com

# الكتاب الأول
# الصراط المستقيم


www.abugroon.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

سورة الفاتحة الآية ٥

﴿...وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

سورة آل عمران الآية ١٠١

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكُنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتَ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

سورة يونس الآية ١٠٤



www.abugroon.com

# القضاء والقدر

بالله نبدأ فنقول إن كل ما حصل من فعل الإنسان أو الحيوان أو الطبيعة فقد حصل بقضاء الله وقدره . وعلى كل من يظن أنه مسلم أن يعتقد أن ما حصل من الشر من سفك دم وكفر ومعصية وقع بقضاء الله وقدره كما يعتقد كذلك في وقوع الخير . قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **(كل شيء بقدر حتى العجز والكيس)**[1] فالله هو القاضي والمقدر **﴿... وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ...﴾**[2] والقضاء هو الأمر بتنفيذ الإرادة الناتجة عن علم بالمراد . وهو الذي على وفقه يجري نظام الكون في الحس والمعنى .

والقدر هو تحديد الشيء المنفذ المقضي به من حيث الزمن والقدر .. وما نراه يحصل اليوم من الحوادث مقضي به أزلاً حان تكوينه . فالمقضي به كائن في غير عالم الحس أزلاً ، ويأتي دور نزوله وبروزه لعالم الحس – وهي الحياة الدنيا - حينما يقال له (كن) وهو المقدور لأن المأمور بـ (كن) يجب أن يكون موجوداً نوعاً من الوجود لتلقي أمر التكوين أي البروز العالم الحس ، لأن العدم لا يؤمر وغير قابل لتلقي أمر موجه لشيء آخر . ولا يجري أو يحدث فعل في الكون ما لم يقض به الله من خير أو شر . وقد قضي على الكافر بالكفر ، وعلى العاصي بالمعصية ، وعلى الصالح بالصلاح فلا عمل ولا اكتساب يضر أو ينفع ، إنما ذلك مقضي به ومقدر من حيث هو عمل فقط يجري على يدي العبد والثواب عليه أو العقاب مقضي به ومقدر أيضاً في الأزل ومكان العبد من الجنة أو النار مقضي به ومقدر عليه قبل خروجه إلى الحياة .

---

[1] رواه مسلم.
[2] سورة غافر لاية ٢٠



www.abugroon.com

فإن قيل : فلم إذا يجهد العبد نفسه في الصلاة والصيام والعبادات وكل شيء قد قضي به عليه أفلا يترك العمل ويتكل ؟

قلنا : إجهاد العبد نفسه في الصلاة والصيام والعبادات مقضي به عليه أيضاً وإن ترك العمل وأتكل فذلك مقضي به عليه أيضاً ...

فما على العبد إلا السكون تحت الإرادة ، فإن كان مع ظاهر الشرع فليحمد الله على حاله هذه لأن الحمد عقال النعم لقوله تعالى **﴿.... لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ...﴾**[1] وإن كان مخالفاً فليسأل الله أن يُرد له الخير حيث كان ويُرضه به . وما يجري على يدي العبد من عمل يبين له من أي الفئات هو بالنظر إلى ظاهر الشرع ، قال تعالى **﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾**[2] ولا يلزم من ذلك وجوب الثواب أو العقاب .

فإن قيل إن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله حينما كشف عن سر القدر لأصحابه قيل له (ألا نتكل؟) قال (أعملوا كل ميسر لما خلق له )[3] ... فلم قال (إعملوا) على الرغم من أن كل شيء مقدر وكل واحد قد قدر له مكانه في الجنة أو النار؟

قلنا : إن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله لا ينطق عن الهوى وإنه لا يقول إلا ما أرسل به والله سبحانه وتعالى أمره أن يقول لهم (أعملوا) في قوله جل شأنه **﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ...﴾**[4] ولذلك قال لهم (أعملوا) **﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ ...﴾**[5] وقد بلغهم ما أرسل به وهو قوله (أعملوا) ولا يستطيع قول غير ذلك حتى لا يكون مخالفاً للأمر الإلهي ، ولا يستطيع المخالفة وهو ليس بمجتهد ، ولكنه صلى الله وبارك عليه وآل،

---

[1] سورة آبراهيم الآية ٧ .
[2] سورة الأنعام الاية ٥٥ .
[3] حديث شريف رواه البخاري .
[4] سورة التوبة الاية ١٠٥ .
[5] سورة المائدة الاية ٩٩ .



www.abugroon.com

وهو سيد العلماء وضح ما استتر بإضافته (كل ميسر لما خلق له)[1] وهذا يعني أن من خلق للمعصية فهو ميسر لها ومن خلق للطاعة فهو ميسر لها ، ومن خلق للكفر فهو له ومقدر عليه . قال تعالى **﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأليم﴾**[2] وقال أيضاً جل شأنه **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ...﴾**[3].

---

[1] البخاري .
[2] سورة يونس الايتان ٩٦ – ٩٧ .
[3] سورة يونس الايتان ٩٩ – ١٠٠ .



www.abugroon.com

# الإرادة

إرادة الله تقتضي أن كل فعل وقع إنما كان بإرادة الله له لأنه يستحيل أن يقع فعل في الكون والله كاره له . لأن ما يكرهه الله لا يحدث أصلاً . قال تعالى **﴿... وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ ...﴾**[1] ولذلك لم يخرجوا مع المسلمين ... ويستحيل في حقه تعالى الكراهة للمخلوقات ، والعباد وأفعال العباد وخيالاتهم ومعتقداتهم مخلوقات **﴿... قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ...﴾**[2] والله تعالى أرادها على ما هي عليه وإلا لما أوجدها إذ كل ما أراده الله أوجده ولو كان فعلاً مخالفاً للأمر التشريعي **﴿... وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ ...﴾**[3] **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ...﴾**[4] ويجب في حقه تعالى الإرادة لكل شيء وفعل وإلا لكان هناك من هو أقدر منه على إيقاع فعل لا يريده – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فإن الله عز وجل إذا كره شيئاً فذلك معناه عدم إيجاده وخلقه ، وما ورد في الآية **﴿... وَلَكِنْ كَرِهَ الله انْبِعَاثَهُمْ ....﴾** يدل على ذلك إذ لم يخرج المنافقون في تلك المعركة مع المسلمين ، لأن الله كره ذلك فاستحال وجوده .. وكراهة الله للشيء هي على التحقيق عدم إيجاده - والإرادة تتعلق بالخلق أو الفعل اللاحق المتصل بها **﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾**[5] فإرادته سبحانه وتعالى تقتضي إيجاد الشيء وسابقة لهذا الإيجاد ولكنها متصلة به.

والله سبحانه وتعالى أراد هذا الكون بما فيه من جميع المخلوقات والأفعال الحسنة والسيئة ، الصالحة والطالحة ، الإسلام والكفر ، الجمال والقبح ،

---

[1] سورة التوبة الاية ٤٦ .
[2] سورة الرعد الاية ١٦ .
[3] سورة البقرة الاية ٢٥١ .
[4] سورة هود الايتان ١١٨ – ١١٩ .
[5] سورة يس الاية ٨٢ .



www.abugroon.com

البياض والسواد بهذه الحالة التي هو عليها ، وهي حالة كمال لا نقص فيها ولا عيب . وما نراه نحن بعقولنا البشرية ونحكم عليه بأنه لا يتفق والكمال فذلك لقصورنا عن إدراك الكمال الذي لا يدركه إلا الله - لأنه لا يدرك الكمال إلا كامل - ولأن هذا الحكم الذي نصدره ، هو مبلغنا من العلم قال تعالى **﴿... وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾**[1] فالله هو الأعلم وهو الذي يحكم **﴿... إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ...﴾**[2] .

فإن قيل هل أراد للكافر أن يكون كافراً؟

قلنا : وهل يكون شيء وهو له كاره؟ قال تعالى **﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمُوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾**[3] .

فما بالك أنت وما عليك بكفرهم **﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ من الجَاهِلِينَ﴾**[4]. وقال تعالى **﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ...﴾**[5] .

كما أن أكثر ما يجري في العالم اليوم المعاصي فإذا كانت تجري على كره منه فذلك عين العجز تعالى الله العلي القدير .

فإن قيل : هذا يعني أن الله أراد المعصية للعاصي فكيف يتفق ذلك مع قول الله تعالى **﴿... قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ...﴾**[6] .

---

[1] سورة الإسراء الاية ٨٥ .
[2] سورة الأنعام الاية ٥٧ .
[3] سورة الأنعام الاية ١١١ .
[4] سورة الأنعام الاية ٣٥ .
[5] سورة الأنعام الاية ١٠٧ .
[6] سورة الأعراف الاية ٢٨ .



www.abugroon.com

قلنا : عقيدة السلف أن الله سبحانه أراد المعصية كما أراد الطاعة ونقول إن الأمر هو خطاب يوجه للمأمور لأداء عمل معين أو تركه ونحن لم نقل إن الله أمر بفعل المعصية ولكنه أرادها وخلقها والفرق بين الإرادة (الخلق) والأمر واضح : فالإرادة تتعلق بإيجاد المخلوقات والأمر موجه لهذه المخلوقات للتعامل . فالأمر ليس هو الخلق أو الإرادة . ولا نجد في الشريعة أمراً بارتكاب معصية لأن الأوامر الشرعية أرادها الله أن تكون كذلك لإحسان التعامل فإذا ادعى أحد أنه وجد في الأديان السماوية أمراً بفعل معصية أو فحشاء فقد كذب على الله ، وإنما جاءت الأوامر والتشريعات للمعاملة ولتبين للإنسان كيفية إحسان التعامل ليعلم أهو على الطريق المستقيم أم هو مخالف **﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾**[1] .

وبالتالي هل هو من أصحاب الجنة أم من المجرمين أصحاب السعير حسب إرادة الله السابقة ، فإذا وجد نفسه متفقاً مطيعاً لما جاء به الشرع فليعلم أن هذه علامة السعادة التي كتبت له في الأزل وليدم الشكر لأن الشكر عقال النعم . وإذا وجد نفسه مخالفاً للأمر الشرعي فليلجأ إلى الله ليغير ما به لأن الله يفعل ما يريد وهو على كل شيء قدير **﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾**[2] .

فإن قيل : فما فائدة التجائه إلى الله وقد أراد له ذلك والإرادة لا بد نافذة؟

قلنا : إن القدرة صالحة لتغيير الحال لأنها تتعلق بالمعنويات والحسيات أي أنه سبحانه وتعالى قادر على أن يريد وقادر على تنفيذ إرادته . فالقدرة سابقة للإرادة بمعنى وعاقبة لها بمعنى آخر . وليعلم أن لجوءه هذا أراده الله ولذلك فليطمئن من يلجأ إلى الله بأن الله سبحانه وتعالى لو لم يرده لما أراد له أن يلجأ إليه فيكون رجوعه مبنياً على يقين تام وحب صادق وثقة في الله

---

[1] سورة الأنعام الاية ٥٥ .
[2] سورة الرعد الاية ٢٩ .



www.abugroon.com

. قال صلى الله وبارك عليه وآله **(يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : دعوت فلم يستجب لي)**[1] .

فإن قيل : إذا كان الله خالق كل شيء حتى المعاصي والذنوب ومريد لها فلم العقاب عليها إذا؟ والله تعالى يقول **﴿... وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾**[2] .

قلنا : إن الأسباب قد تؤدي إلى النتائج ولكنها ليست حتمية الوقوع بها . فالمعاصي سبب للعقاب حسب ما أوتينا من العلم ولكن العقاب لا يلزم أن يكون تبعاً للذنب وإلا لقلنا بوجوب العقاب على الله تعالى للمذنب ونكون بذلك سلبنا عنه صفة القدرة على العفو وصفات الرحمة والرأفة والحلم والكرم . وعليه يكون السؤال (لم العقاب على الذنب؟) سؤال يفترض وجوب العقاب وهذا لا يتفق وجلال الله تعالى لأنه قد يعفو عن المذنب ويشمله برحمته ولا يجب عليه تعالى عقابه كما كان من أمر آدم عليه السلام حيث أمره الله تعالى ألا يأكل من الشجرة فأكل منها **﴿... وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾**[3] ورغم ذلك **﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ ...﴾**[4] وموسى عليه السلام قتل نفساً ورغم ذلك غفر الله له وجعله من المرسلين . كما لا يجب على الله تعالى إثابة أحد مهما كانت أعماله صالحة و**﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾**[5] لأنه هو الذي أجراها على يديه **﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾**[6] أما قوله تعالى **﴿... وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾** فهو تقرير للحقيقة وليس نفي شبهة الظلم عنه تعالى لأنه هو العدل . فالظلم هو التصرف في ملك الغير والمخلوقات مملكة الله وليس معه شريك وتصرفه وفعله تعالى في مملكته كيف يشاء لا يوصف بالظلم بل كل فعله عدل ، ولذا نجد العارفين

---

[1] البخاري .
[2] سورة فصلت الاية ٤٦ .
[3] سورة طه الاية ١٢١ .
[4] سورة آل عمران الاية ٣٣ .
[5] سورة الانبياء الاية ٢٣ .
[6] سورة يونس اية ١٠٧ .



www.abugroon.com

يقولون في دعائهم (اللهم قابلني بفضلك لا بعدلك) والناس عبيد الله تعالى وتصرف مالكهم وسيدهم فيهم هو العدل بعينه فقضى ﴿**... فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السعير**﴾[1] وهذه إرادة الملك فما بال العبد؟

فإن قيل : إن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم ﴿**... وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ**﴾[2] فما معنى هذه الآية عندكم؟

قلنا : إن الرضا غير الإرادة ، وهو يكون دائماً متعلقاً بالنتيجة التي حدثت أي بما وقع ، وكذلك الغضب . وما وقع هو نتيجة للإرادة التي أحدثته . فالإرادة تتعلق بما يقع قبل وقوعه والرضاء أو الغضب يتعلق بما وقع بعد وقوعه . فالإرادة إذاً سابقة للرضاء . فالله سبحانه يرضى ويغضب ولكنه لا يكره ويستحيل في حقه الكراهة . ولنضرب مثلاً ولله المثل الأعلى ولكن إنما تضرب الأمثال لتقريب المسألة للأذهان:

فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس فنقول إن الأب قد يضرب إبنه لسبب لا يحتاج للضرب وبعد الضرب قد يشعر بعدم الرضا على ما فعله . فضربه لإبنه جاء نتيجة لإرادته ضربه وإلا لما ضربه وعدم رضائه جاء تبعاً لنتيجة إرادته . والله سبحانه وتعالى قد قضى على عباده فريق في الجنة وفريق في السعير . والإشارة في الآية ﴿**... ولا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ**﴾ إلى عباده الذين قضى عليهم بالإسلام فلا راد لحكمه وإرادته . وعلى الرغم من أن القدرة صالحة لمن سبقت عليه الكلمة أنه من السعداء لجعله من الأشقياء ، ولمن قضى عليه بالإسلام لجعله كافراً فإن الله سبحانه وتعالى لحلمه ورأفته وهو الحليم الرؤوف لا يرضى ذلك لأنه ﴿**... كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾[3] والقدرة التي نتحدث عنها قائمة بالذات لاحتياج الذات لها ، لإبراز الإرادة لعالم الحس وهنا تسمى القدرة الناتجة عن العلم المنفذة للإرادة . فظهورها هنا متأخر عن الإرادة من حيث أنها منفذة ولكنها في نفس الوقت

---

[1] سورة الشورى الاية ٧ .
[2] سورة الزمر الاية ٧ .
[3] سورة الأنعام الاية ٥٤ .



www.abugroon.com

سابقة لها لاحتياج الذات لها كي تريد . فيجب على الذات أن تكون قادرة على أن تريد ومن هذه الوجهة تكون القدرة سابقة للإرادة والله تعالى أعلم .



www.abugroon.com

# التسليم

ينبغي على كل مسلم التسليم بأن كل ما وقع فالله له مريد . قال بعض الحكماء[1] : (التسليم ولاية والإعتراض جناية) والتسليم هنا هو أن يرى كل ما وقع ونفذ فبقضاء الله وقدره . وهذه الحكمة المبسطة هي ذروة الإيمان لأن الإيمان بالقدر من أصعب الأشياء . قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **(الإيمَانُ بِالْقَدَرِ نِظَامُ التَّوْحِيدِ فَمَنْ آمَنَ وَكَذَّبَ بِالْقَدَرِ فَهُوَ نَقْصٍ للتوحيد)**[2] . والإعتراض يكون على ما وقع لأنه لا يمكن لأحد أن يعترض على شيء في المستقبل ، اللهم إلا إذا كان المعترض عليه مجرد فكرة لم تبرز نتيجتها في عالم الحس ، إذ في هذه الحالة يصح الإعتراض لتبيين الحق من الباطل وهي الشورى وإبداء الرأي للوصول للنتيجة التي لم تحدث في عالم الحس بعد - أما من يعترض على شيء وقع وظهر في عالم الحس فإن إعتراضه لا يفيده بشيء . كما أنه اعترض على الله وقدره وأخطأ بذلك الطريق المستقيم! وكان ينبغي عليه أن يفكر في المستقبل لتلافي ضرر ما حصل وإصلاحه . قال تعالى **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ...﴾**[3] وهذا يعني أن الإيمان هو سلب الإختيار عن العبد وتسليم الإرادة للمريد ليفعل ما يشاء.

والعبد إذا سلّم أو لم يسلِّم فالله يفعل ما يشاء ولا رادٍ لحكمه .. ولكن التسليم يزيح عن العبد المعاناة في الأمر الإلهي الذي نزل به ، والذي لا طاقة له به ولا قدرة له على تغييره .. ويزيل عنه أيضاً غرور القدرة وما يراه من عمله الصالح الذي ينتظر منه الثواب ، فوجوب الجزاء على الله مما يراه

---

[1] الشيخ محمد بدر .
[2] السنة لعبد الله بن أحمد .
[3] سورة الاحزاب الاية ٣٦ .



www.abugroon.com

العبد من صالح الأعمال ، تدخل في الشؤون الإلهية في تقدير الثواب والعقاب ويستحق عليه العبد أعنف الزجر لأنه لا يجب على الله فعل شيء أو تركه ، ولكن يجوز لمن عمل صالحاً أن يكون راجياً فقط للفضل الإلهي وقد قيل : أترجو ثواباً على الطاعة !! ألا يكفيك أنه رضيك لها أهلاً[1] .

وجاء في الصحيح عن رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله (لا يدخل أحدكم الجنة بعمله ..)[2] وقد جاء عن بعضهم : «أَنَّ مَنْ عَبَدَ الله ليعطيه الدنيا والمال فهو عابد للمال لأنه منتهى قصده ، والمال مخلوق . ومن عبد للجنة فهو عابد لأجل مخلوق . ومن عَبَدَ خوف النار فخوفه من مخلوق وكلهم سواسية . إذ كلهم يعبدون لغير الله . والمصيب من يعبد الله لله لا لدرهم ولا دينار ، ولا طمعاً في جنة ولا خوفاً من النار» . فالله تعالى لا يقبل عملاً إلا إذا كان خالصاً لوجهه تعالى . ومن كان لله كان الله معه ومن عبد الله لغرض فقد قصد به غير وجه الله والله غني عن الشركاء . **(لأن الأعمال بالنيات وإنما لكل امريء ما نوى)**[3] فمن يرد بعمله غير الله كان له ما أراد وذلك حظه الذي حجب به عن ربه ، ومن يتجرد عن حظوظ النفس الدنيوية والأخروية ويرد بعمله وجه الله فهو الذي يحب المنعم ، ولم يقتصر على النعم وحب الله هو الغاية . قال تعالى **﴿... وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾**[4] وقال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله في المؤمن **( من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما)**[5] وما سواهما هي النعم الدنيوية والأخروية . وحب الله يستلزم الطاعة والتسليم له تعالى والرضا بما أراد . فما على العبد إلا إتباع الأمر الإلهي والسكون تحت إرادة الله لأنه تعالى هو الذي أدرى له بالخير .

---

[1] إبن عطاء الله السكندري .
[2] رواه البخاري .
[3] رواه البخاري .
[4] سورة البقرة الاية ١٦٥ .
[5] رواه البخاري .



www.abugroon.com

فعسى أن يكره الإنسان شيئاً وهو خير له ولا يعلم لكن الله أعلم . وعليه ألا يقترح على الله شيئاً . إنما يشكر على كل حال سواء عرف فائدتها أم لم يعرف ، ويكون دعاؤه (اللهم أرد لي الخير حيث كان ورضني به) لأن الله يفعل ما يريد ولا يبالي ولا يقيده جل جلاله عمل عامل من خير أو شر لأنه هو الذي أجراه على يديه ذو الجلال الكبير المتعال .

فعلى المرء نية العمل للإصلاح - وإن كان الذي يحصل منه قد يكون غير الذي نواه - لأنه يجهل المستقبل الذي جرت به إرادة الله أزلاً . ولأجل هذا تكتب نية عمل الخير وإن لم يفعله لأن الله قد يكون قدر عليه فعل ما لم ينوه.. قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **(إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمريء ما نوى)**[1] وقال أيضاً **(نية المؤمن خير من عمله )**[2] .

وعلى المرء - كما ذكرت - التفكير في عمل المستقبل الإصلاح ما حصل اللهم إلا إذا كان قد كشف له المستقبل ، وفي هذه الحالة - أي حالة كشف المستقبل له - يكون في حالة انتظار ومعاينة لمجرى الأقدار . وهذا يخرج عن دائرة عقولنا لأنه أكبر من أن نخط له الطريق المستقيم بل هو الذي يمكنه أن يخط لنا الصراط المستقيم - وليس هناك من كشف له المستقبل أكثر وأوضح من نبينا محمد صلى الله وبارك عليه وآله ، ولذلك خط لنا هذا الصراط المستقيم الذي ينجو كل من سلكه ويدخل جنته في الدنيا بالتسليم **﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾**[3] .

والتفكير فيما حدث يجب أن يكون على أساس إصلاح ما وقع ، لا أن يكون التفكير في الشيء نفسه الذي حدث . خاصة إذا كان ما حدث مما يعتقد عند الناس شراً - وليس كل ما يعتقده الناس شراً هو شر - وإلا كان التفكير فيه

---

[1] رواه مسلم .
[2] كشف الخفاء للعجلوني .
[3] سورة الرحمن الاية ٤٦ .



www.abugroon.com

مجرد حسرة وعذاب للنفس . قال تعالى ﴿**... لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ...**﴾[1] ولا يغير هذا التفكير فيما وقع شيئاً بل يفسد الزمن الحاضر وذلك بعدم إستثماره فيما ينفع ، كما يعذب الأنفس بنار الحسرة ﴿**الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ**﴾[2] .

[1] سورة آل عمران الاية ١٥٦ .
[2] سورة الهمزة الاية ٧.



www.abugroon.com

# الحكم على المذنبين

فإن قيل فما حكمكم على المذنبين؟ قلنا : إن الذنب وقع بقضاء الله وقدره . وهذا المذنب إنما أذنب بإرادة الله له الذنب . ولا ندري الخير أريد به أم لشر! وأمره متروك لله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ ...**﴾[1]. قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله (**إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة**)[2] قالوا : يا نبي الله وكيف يدخله الجنة؟ قال (**إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة ، يكون نصب عينيه تائبا فارا حتى يدخل به الجنة**)[3] . والإستغفار والندم معناه التوبة ومراعاة الأعمال في المستقبل ، إذ أنّ الإستغفار عمل جديد لإصلاح ما حصل بالذنب . فإن كان هذا المذنب من أولي الألباب فإنّه ﴿**... يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا**﴾[4] لأن التوبة نية عمل الخير مستقبلاً والذنب أمر وقع ونفذ . فعلى المرء العاقل أن ينوي ويجتهد لإصلاح أمره في المستقبل ولا يشغل فكره بالذي وقع منه لأنه لا يجدي بشيء إلا عذاب النفس . ولعل التفكير فيه بعد التوبة يؤدي إلى الشك في عفو الله ، وهذه من الكبائر إن لم تكن كفراً . لأنه تكذيب لمحمد صلى الله وبارك عليه وآله لقوله (**التائب من الذنب كما لا ذنب له**) [5] وقوله صلى الله وبارك عليه وآله (**فإن تاب تاب الله عليه**)[6] ولولا أن الله سبحانه وتعالى تاب عليه لما تاب لقوله عز وجل ﴿**... ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ...**﴾[7] ومن تاب الله عليه فقد عفا عنه . ومن كذب رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله أو خالفه في سنته عن قصد بفتوى من عنده فكفره متفق عليه والعياذ بالله . وكذلك من

---

[1] سورة الأنعام الاية ٥٧ .
[2] الجامع الصغير للسيوطي .
[3] الجامع الصغير للسيوطي .
[4] سورة الفرقان الاية ٧١ .
[5] البخاري والبيهقي وابن ماجة .
[6] سنن الترمذي .
[7] سورة التوبة الاية ١١٨ .



www.abugroon.com

يعتقد سقوط ركن من أركان الإسلام عنه كالصلاة لغروره ببعض ما آتاه الله من العلم!! أفأمن مكر الله؟ ﴿**... فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الخَاسِرُونَ**﴾[1].

[1] سورة الاعراف الاية ٩٩ .



www.abugroon.com

# فساد الإعتقاد

فإن من انحرفت عقيدته عما شرعه رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله فقد أضله الله على علم - نسأل الله السلامة! وكان رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله يحث **(الصلاة وما ملكت إيمانكم)**[1] وقال لمن سأله رفقته في الجنة **(فأعني على نفسك بكثرة السجود)**[2].

ولم يأول الرسول صلى الله وبارك عليه وآله الصلاة . فمن يترك الصلاة لفساد إعتقاده فقد خرج عن نهج رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله . ومن شرع غير ما كان عليه رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله فذلكم إبليس بعينه تجسد وشرع من الدين ما لم يأذن به الله ليُضِلّ جمهور حزبه ويوردهم النار بئس الورد المورود .

وليت شعري ... من ادّعى الإحاطة بالعلم وأصدر فتواه وفسر الصلاة بأنها تنهي عن الفحشاء والمنكر الذي يعلمه هو فقط وليس ما يعلمه الله ورسوله وأنه لا يعمل منكراً ولذلك سقطت عنه الصلاة فهل هناك منكر أكبر من أن يستكبر العبد على السجود لربه الذي خلقه من ماء مهين؟

أيستكبر الإنسان على أن يضع جبهته وأنفه على الأرض - إن كان مسلماً - كما كان يفعل رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله سيد العلماء وحبيب الله والمثل الأعلى للإنسان؟ وكما كان يفعل باب مدينة العلم أبو الحسنين علي عليه السلام؟ أيدعي الإنسان أنه بلغ درجة من العلم والرقي فسقطت عنه الصلاة؟ إن هذا لهو الفحشاء والمنكر بعينه !!

وإني لأعجب ممن يدعو لإتباع محمد صلى الله وبارك عليه وآله ويهدم ركناً أساسياً من أركان الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله وبارك عليه وآله

---

[1] رواه ابن ماجة .
[2] رواه مسلم .



www.abugroon.com

كالصلاة!! قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **(الصلاة عماد الدين)**[1] وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة فإن صلحت صلحت سائر أعماله وإن بطلت بطلت سائر أعماله ولا تأويل في الصلاة لقول الرسول صلى الله وبارك عليه وآله **(صلوا كما رأيتموني أصلي)**[2] وهي ذات القيام والركوع والسجود من الحركات الظاهرة المرئية . ولا أدري ماذا يريد الشيطان من العبد بعد ترك الصلاة التي إن بطلت بطلت سائر أعماله !!

(فَفِقْ أيها العبد من غفلتك فأنت عبد ولست حراً .. عبد لله ، فأد حق العبودية .. فإن ادعيت الحرية فأنت آبق وسوف يلقى الآبق جزاءه لأنه لابد لك من الرجوع إلى سيدك) **﴿... ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾**[3] والله جل وعلا لعلمه بجهلك قد جعل لك أسوة حسنة للإتباع **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ...﴾**[4] فإن إقتديت به وسلكت طريقه وتبعت دربه وخطاه في كل صغيرة وكبيرة دون تلفت فقد سلكت السبيل المنجية الموصلة إلى الله **﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**[5] فارض بحكم الله العليم عليك في قوله **﴿وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا﴾**[6] والله سبحانه يقول على لسان نبيه **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ...﴾**[7] وقال جل شأنه **﴿وَمَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ...﴾**[8] وقال أيضاً عز من قائل **﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ**

---

[1] الكافي الشف لإبن حجر العسقلاني .
[2] رواه البخاري .
[3] سورة آل عمران ، الاية ٥٥ .
[4] سورة الاحزاب ، الاية ٢١ .
[5] سورة يوسف ، الاية ١٠٨ .
[6] سورة الاحزاب الاية ، ٧٢ .
[7] سورة آل عمران ، الاية ٣١ .
[8] سورة النساء ، الاية ٨٠ .



www.abugroon.com

**فَانْتَهُوا...﴾**[1] . ولذلك يؤخذ فهم القرآن عن رسول الله لا عن إجتهاد إلا إذا عُدِم الأثر .

ومن ترك ما شرعه الرسول صلى الله وبارك عليه وآله عن إعتقاد منه في هذا الترك فهذا فساد في الإعتقاد وهو مخالف وليس بتابع للرسول صلى الله وبارك عليه وآله وبالتالي بعيد عن محبة الله لأن الله يحب التابعين لمحمد صلى الله وبارك عليه وآله لقوله تعالى **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ...﴾**[2] . ومن أحبه الله كان الله سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه.

قال بعض العارفين[3] قُدِّس سره (اتبع ولا تبتدع واتضع لا ترتفع) وقال أيضاً (إن كنت بجميع ما في الأرض مخصوص ظاهرك ما يخالف النصوص) وذلك لعلمه وهو لم يكن يقرأ ولا يكتب تلقى تعليمه من الله بواسطة التقوى قال تعالى **﴿... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ...﴾**[4].

والإنسان عبد مهما بلغ من العلم وليس له حرية أو مقام حرية يصله لأن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله ذكره الله بالعبودية في أرقى مقامه .. في المعراج في قوله جل وعلا **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ...﴾**[5] وحينما خُيِّر صلى الله وبارك عليه وآله بين أن يكون عبداً رسولاً أو ملكاً رسولاً اختار أن يكون عبداً رسولاً . وكل إنسان يقصر بالتأكيد عن مقام حبيب الله محمد صلى الله وبارك عليه وآله صاحب المقام المحمود ، والحوض المورود . بل لا يساوي قطرة من بحره صلى الله وبارك عليه وآله ، وهو إذاً بالعبودية أحق . اللهم إلا أن كان يدّعي أن مقامه فوق الرسول صلى الله وبارك عليه وآله والعياذ بالله .. اللهم أحفظنا بما حفظت به الذكر فـ **(إن**

---

[1] سورة الحشر ، الاية ٧ .
[2] سورة آل عمران ، الاية ٣١ .
[3] الشيخ محمد بدر
[4] سورة البقرة ، الاية ٢٨٢ .
[5] سورة الإسراء ، الاية ١ .



www.abugroon.com

**القلوب بين أصبعين من أصابع الله)**[1] فثبت اللهم قلوبنا على دينك واتباع حبيبك بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة .

[1] رواه الترمزي .



www.abugroon.com

# الندم والحسرة

ورد في الحديث ( الندم توبة )[1] .

فما الفرق بين الندم والحسرة؟

الندم هو إضمار عدم العودة لمثل ما حدث ، وهذا أمر متعلق بالمستقبل نتج عن فعل مضى . فكأن الندم يمثل الطاقة والمنطلق للعمل الجديد في اتجاه عكسي للذنب الذي وقع .

والندم متعلق بذات النادم إذ أن الإنسان لا يندم على فعل غيره وإنما يغضب. ولذلك فمقياس الندم شخصي ولا يعلمه إلا الله وصاحبه . وعليه فالنادم صادق ومخلص لأنه لا مكان للرياء فيه ولذلك فإن **﴿...اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ...﴾**[2].

أما الحسرة فهي التفكير في فساد التدبير الذي أدى للنتيجة غير المقصودة وما كان يمكن فعله لتلافي ما حصل ، وهي العمل بـ (لو) أي (لو فعلت كذا لكان كذا) وهذا ما حذر منه رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله في حديثه **(.. ولا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذ فإن لو تفتح عمل الشيطان)**[3] والحسرة تتعلق بفعل المتحسر وبفعل غيره كالمتآمرين .

والمتحسر كلما يكتشف أنه كان يمكن عمل شيء يعتقد أنه كان يمكن أن يؤثر في النتيجة التي حدثت يزداد عذاباً وألماً . ولكنه لا يجني سوى عذابه هذا . لأن كل شيء حصل إنما تم وفق ما قدر له له بالطريقة التي حصل بها . والمتحسرون المحترقة أفئدتهم في غير شيء المعذبون بـ **﴿نَارُ الله**

---

[1] مسند أحمد .
[2] سورة البقرة ، الاية ٢٢٢ .
[3] تفسير القرآن لابن كثير .



www.abugroon.com

**الموقدة﴾**[1] التي لم تضرم لحرق الأجساد بل هي الَّتِي **﴿تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾**[2] لأن الفؤاد هو الذي يحس وليس الجسم وهو المقصود بالعذاب والنعيم . أما العذاب الذي يلحق بالجسم إنما القصد منه إيصال الألم للفؤاد فهو - أي الجسد - كالوسيلة . وإذا كان الألم يمكن أن يكون على الفؤاد مباشرة فذلك أشد عذاباً . مثلاً إذا أخبرت بموت من تحب فجأة كالابن أو الوالد ، فهذا ألم على الفؤاد مباشرة وكذلك بعض عذاب الآخرة نسأل الله السلامة . وأقصد بالفؤاد هنا الجزء المدرك من الإنسان والذي لا يفنى بفناء الجسد ، ولكنه متعلق به في هذه الحياة من ناحية الدماغ . وإذا لحق الألم بالفؤاد في هذه الحياة فإن آثاره تظهر على الجسد مباشرة كما نرى اليوم ما يظهر على جسم الإنسان إثر حالة خجل شديد وما يطرأ على لونه من تغيير وكذلك تأثير الخوف أو حالة فرح شديد أو حزن عميق وما يتبعها من هبوط في جسم المتأثر وإصفرار لون وآلام ومضاعفات .

والإنسان إذا كان تحت تأثير مخدر كالبنج مثلاً فإنه لا يحس بألم الجرح وخياطته بل ولا بكل العملية التي تجري على جسده ولكنه إذا كان في حالته الطبيعية قد يموت من شدة الألم والوجع الذي قد يؤدي إلى صدمة تودي بحياته . فالعذاب أصلاً للجهة التي تدرك وهي الفؤاد وليس الجسم .

وما عذاب المتحسرين هذا إلا لجهلهم بالناموس ومقدر الأسباب الذي **﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ...﴾**[3] ولجهلهم بقوله تعالى **﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾**[4] وقوله تعالى **﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾**[5] ويظنون - لجهلهم - أنه لو حصل كذا لكانت النتيجة غير ذلك ولا يعلمون أنه لا يمكن أن يحصل غير الذي حصل وأن النتيجة التي حدثت هي الحتمية المقدرة . ولذلك حينما قال المنافقون عن الذين قتلوا في إحدى المعارك **﴿... لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا**

---

[1] سورة الهمزة ، الاية ٦ .
[2] سورة الهمزة ، الاية ٧ .
[3] سورة السجدة ، الاية ٥ .
[4] سورة القمر ، الاية ٤٩ .
[5] سورة الصافات ، الاية ٩٦ .



www.abugroon.com

**مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا ...﴾**[1] قال تعالى ﴿**... قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ...﴾**[2] ولكن ما كان قول المنافقين إلا ﴿**... لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ...﴾**[3] .

وكل العلم الذي يجلب للإنسان الراحة النفسية في الدنيا والآخرة والكشف الصراح دلت عليه الآية ﴿**... قُلْ لَوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ...﴾** لأنها تشرح وتكشف عن سر القدر على أوضح ما يكون وأنه نافذ بالكيفية التي تمت سواء أكان هناك نقص في الأسباب أم لم يكن . إذ الأسباب تقتضيها الحكمة بالنسبة للعقول البشرية . وحصول النتيجة بغير سبب أيضاً تقتضيه الحكمة لتبيين قدرة الله للعقول الضعيفة المادية التي تعبد الأسباب وتقدسها وتعتقد فيها أنها مؤدية حتماً للنتيجة . وأكثر الناس مادية هم أهل حكم التوراة : النفس بالنفس ... ولذلك خلق الله تعالى فيهم سيدنا عيسى عليه السلام خارقاً للعادة وخلقه رغم نقص السبب المعهود في خلق الإنسان بدون أب! والتحقيق هو أنّ الأسباب مؤدية للنتيجة ولكنها ليست حتمية الوقوع ، فقد تكتمل الأسباب ولا تحدث النتيجة - كإلقاء سيدنا إبراهيم عليه السلام في النار وعدم إحراقها له - وقد تحدث النتيجة رغم نقص الأسباب كما ذكرنا في مثل عيسى عليه السلام .

وقوله تعالى ﴿**... لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ...﴾**[4] يدل على مدى التعذيب الذي يعانيه هؤلاء المنافقون في الدنيا قبل الآخرة وهو أن الله سبحانه جعل في أذهانهم التفكير في الأسباب التي أدت للنتيجة غير المرضية وما كان ينبغي إتخاذه لتلافي ما حصل ، وما ذلك إلا العذاب بعينه دون جدوى سوى العذاب المستمر وهو الحسرة . نسأل الله السلامة .

---

[1] سورة آل عمران ، الاية ١٥٦ .
[2] سورة آل عمران ، الاية ١٥٤ .
[3] سورة آل عمران ، الاية ١٥٦ .
[4] سورة النساء ، الاية ٧٨ .



www.abugroon.com

# الحلم والغضب

الغضب من الجهل والحلم من العلم . وما يدل على أن الغضب ناتج عن الجهل هو أن الغضبان لو علم أنّ ما حدث وكان سبباً لغضبه إنما حدث بإرادة الله تعالى لحدوثه زال غضبه ، فعلمه بالسبب يذهب عنه الغضب . اللهم إلا أن يغضب بعد ذلك على مسبب الأسباب والعياذ بالله . فإن كان له قلب وزال عنه الغضب بعد علمه بالسبب التجأ إلى الله المسبب يسأله الستر والصبر والعفو والعافية ، وزال جهله وانقلب غضبه إلى خوف من الله أن يفعل به أكثر مما حصل له وزاد إيمانه وتأكد له معنى قوله تعالى ﴿**... قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا**﴾[1] وقوله جَلَّ وعلا ﴿**... قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ...**﴾[2] وتبين له معنى حديث الرسول صلى الله وبارك عليه وآله (**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد**)[3] وأيقن أن الخير والشر بيد الله تعالى إن شاء عفا عنه أو لطف في قدره ﴿**يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أَمُّ الْكِتَابِ**﴾[4] فحق على العبد عند وقوع المصيبة ألا يغضب ولا يتأسف بل يلجأ إلى الله الذي بيده الخير والشر ليرفع ما وقع به ويلطف به فيما هو فيه وما سيحصل له ... وفي الحقيقة لا شيء قد يحصل من جديد إلا بالنسبة لنا . أما بالنسبة لله تعالى فإن كل شيء قد قُدِّر وحصل (جفت الأقلام وطويت الصحف) فما نراه يحدث هو أمر قد فرغ من تكوينه وإنما حان وقت بروزه في عالم الحس في الزمن الذي قدر له فيه الظهور .

---

[1] سورة النساء ، الاية ٧٨ .
[2] سورة الرعد ، الاية ١٦ .
[3] رواه البخاري .
[4] سورة الرعد ، الاية ٣٩ .



www.abugroon.com

# المثل الأعلى

كان الرسول صلى الله وبارك عليه وآله في معاملاته الفردية الخاصة حليماً لطيفاً حتى مع المشركين واليهود ولم يكن فظاً غليظ القلب بل كان كما وصفه الله تعالى بقوله **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾**[1] مما دعا كثيراً من المشركين واليهود للدخول في الإسلام . جاء في الحديث أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله كان جالساً فمرت به جنازة فوقف لها فقيل له إنها جنازة يهودي فقال صلى الله وبارك عليه وآله (أليست نفساً)[2] وذلك لكمال علمه صلى الله وبارك عليه وآله . وقد دخل كثير من الأعراب الإسلام بمجرد معاينتهم للنبي صلى الله وبارك عليه وآله وسلوكه ومعاملاته . ولذلك كان كفار مكة من القرشيين أحرص ما يكونون على ألا يتصل الناس بالرسول صلى الله وبارك عليه وآله لأنه لا يتصل به أحد إلا ويخرج مصدقاً مؤمناً بما جاء به ، ولذلك قالوا عنه ساحر لقوة تأثيره اللين . قال تعالى في مدحه **﴿... وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ...﴾**[3] . ولم يكن غضوباً على الخاطئين ولم يكن خشن اللفظ بل إذا كان الخطأ يقتضي العقاب عاقب الخاطيء ، وإلا لم يعنفه بكلام زجر غليظ . إذ أن غلاظة اللفظ منفرة للخلق كما أنها لا تؤدي إلى الإمتناع عن إرتكاب المحظور المقدّر والذي قد وقع فعلاً بل ربما تدفع الإنسان إلى أن تأخذه العزة بالإثم . جاء في الخبر أن رجلاً كثيراً ما كان يأتي للرسول صلى الله وبارك عليه وآله ثملاً فيحده في الخمر ، وفي إحدى المرات جاء كذلك فسبه أحد الجالسين حينما رأى أنه لا ينزجر ، فقال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله في حقه **(لا تكن عوناً**

---

[1] سورة القلم ، الاية ٤ .
[2] رواه البخاري .
[3] سورة آل عمران ، الاية ١٥٩ .



www.abugroon.com

**للشيطان على أخيك لا أعلم إلا إنه رجل يحب الله ورسوله)**[1] وفي رواية يحبه الله ورسوله.

كان صلى الله وبارك عليه وآله حينما يخطىء أحد لا يسميه بإسمه بل يقول **( ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه ...)**[2] وما كان يعرض بأصحابه قط لأنه كان يعلم وهو السميع العليم أن ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن . ولذلك فلا معنى للتعنيف وغلاظة اللفظ لأنها لا تجدي شيئاً إلا الكراهة في صاحب اللفظ العنيف ويتبع الكراهة المخالفة له في سلوكه ، والرسول صلى الله وبارك عليه وآله هو المثل الأعلى للسلوك وهو الأسوة الحسنة ويجب الإقتداء به . وإذا كان حسن اللفظ يؤدي لنفس النتيجة التي يؤدي إليها اللفظ الأمر العنيف وبصورة ألطف ، فلم عنف اللفظ المنفر للطباع؟

---

[1] رواه البخاري .
[2] رواه مسلم .



www.abugroon.com

# النية

الأعمال يجريها الله وفق ما قدره وكذلك النتائج المؤدية إليها تلك الأعمال . فعلى العبد أن ينوي الخير لأنه يجهل النتيجة التي يقود إليها العمل إذ أنها ربما تكون في مفهومه شرا ، أو ربما يجري الله على يديه عملاً غير صالح، فتكون نيته الصالحة كتبت له بفضل الله ورحمته - قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **(نية المؤمن خير من عمله)**[1] لأن العمل وإن كان صالحاً قد يخالطه الرياء والغرور والفساد أما النية فلا ، لأنها الخاطر الأول والنية هي التي عليها المدار . قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **(إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمريء ما نوى)**[2] فنية الخير يثاب عليها المرء ولا يعاقب على نية الشر لأنه ربما ينوي الشر ويدبر له وتكون النتيجة وقوع الخير رغم تدبيره الشرير فتصير نيته وتدبيره عذاباً وألماً وحسرة ويكفيه عقاباً هذا العذاب النفسي . فمن أراد الراحة النفسية عليه بالتسليم لأمر الله بقلب سليم خال من الإعتراض على قدر الله وقضائه في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون **﴿إلا مَنْ أَتَى الله بقلب سليم﴾**[3] . وعليه أن ينوي عمل الخير فإن تم العمل على يديه حمد الله على ذلك وإن لم يتم فيحمد الله على نية الخير التي يثاب عليها دون العمل لأن الله عليم بذات الصدور ولأن الأمر بيد الله ﴿.... وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4] .

---

[1] حلية الأولياء لأبي نعيم .
[2] رواه البخاري .
[3] سورة الشعراء ، الاية ٨٩ .
[4] سورة يوسف ، الاية ٢١ .



www.abugroon.com

# الوالي

بعد أن بينا أن الإنسان قد يجري على يديه فعل ما لم ينوه وأنّ خطأه مقدّر عليه سواء أكان عن تدبير منه أم لا فينبغي على الوالي وصاحب السلطة أن يعاقب الخاطيء إذا كان خطأه يستحق العقاب - مع اعتقاده أن هذا العقاب أيضاً مقدر عليه - وعليه ألا يسيء إليه أو يسبه بل يكون مؤدباً معه في معاقبته ، ولا يظهر حقداً أو تشفياً بل يكون زاجراً له بالعقاب عظة لغيره . وأن يعامله بعد العقاب بما يعامل به غيره من الأبرياء الذين لم تحصل منهم مخالفة . لأنه بعد العقاب أصبح بريئاً مما فعله ولهذا شرع العقاب ، لأن الغاية منه تصفية النفس مما علق بها وكذلك عقاب الآخرة . إذ بعد أن يلقى الإنسان عقابه ، يكون قد صفا مما علق به من الأرجاس ويصلح لتبؤو جنات النعيم.

والإنسان لا يذم لعينه لأن الله سبحانه وتعالى يقول **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...﴾**[1] فهو مكرم بالنص من حيث أنه إنسان ولهذا وقف رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله حينما مرت به جنازة يهودي وقال **(أليست نفساً)**[2] لأن الإنسان خليفة الله رغم ذنوبه وفساده وسفكه للدماء . قال تعالى **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ...﴾**[3] والمعلوم أن آدم عليه السلام نبي مرسل معصوم من الفساد وسفك الدماء . فالخلافة إذاً للإنسان من حيث ذاته، صالحة أعماله كانت أم طالحة لأنه مخلوق على صورة الرحمن . قال رسول الله صلى الله وبارك عليه

---

[1] سورة الاسراء ، الاية ٧٠ .
[2] رواه البخاري .
[3] سورة البقرة ، الاية ٣٠ .



www.abugroon.com

وآله **(فإن الله خلق آدم على صورته)**[1] وفي رواية (على صورة الرحمن) .

فالإنسان - كما ذكرت من حيث عينه مكرم يستحق التكريم والذي يذم منه هي الصفة العارضة التي تطرأ عليه إن كانت مخالفة لما شرع فكل مولود يولد على الفطرة . ومن لا يدرك هذه الحقيقة غير مؤهل للولاية على الخلق الذين هم عيال الله ، لأن الوالي من أسماء الله تعالى فمن تقلده عليه الإتصاف ببقية الأسماء فعليه أن يكون رحيماً راحماً . قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **(إن حسن الخلق خلق من أخلاق الله)**[2] أي اتصفوا بصفاته التي شرعها لكم وهذه درجة المحبوبية وهي أن يكون الله سمعه وبصره ويده ورجله ، وروي عن البسطامي رضي الله عنه أنه قال «سبحاني» .

فإن قيل إننا نرى الولاة اليوم بغير ذلك فلم يول الله من ليس أهلاً للولاية ؟

قلنا : قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **(كما تكونوا يول عليكم)**[3] فإن صلح الناس واستقام سلوكهم فلابد لهم من وال كذلك من بينهم يمثل الصلاح والإستقامة ، وإن فسدت أخلاق الناس فلا بد من أن يتولى أمورهم ممثل لما هم عليه لأن الناس يمثلهم من هو على شاكلتهم لأنهم يرضونه ويقبلون حكمه . فإذا أردت أن تعرف سلوك غالبية الرعية ودينهم فأنظر لواليهم لأنه يعكس ذلك إذ **(الناس على دين ملوكهم)**[4].

وعلى الوالي أن يعرف نفسه وسلوكه من سلوك رعيته فإن ظهر فيهم الفساد فليبدأ بتطهير نفسه ومراجعة سلوكه حتى يقتدي به لأن أنظار الرعية متجهة إليه فيصلحوا بصلاحه.

---

[1] رواه البخاري ومسلم .
[2] لسان الميزان لإبن حجر العسقلاني .
[3] الفوائد المجموعة لشوكاني .
[4] الأسرار المرفوعة لملا علي قاري .



www.abugroon.com

وإن رأى الناس فساداً في الوالي فعليهم إصلاح أنفسهم حتى ينضبط المجتمع فيصعب على الوالي الخروج عما عليه المجتمع من صلاح قال تعالى ﴿**...إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ...**﴾[1] وتغيير الوالي إذا تم بغير هذه الطريقة فإن خلفه سيكون كسلفه من تخبط وعدم التزام واتباع للهوى وآخر الزمان يكون كذلك حتى تضطرب الحياة ، ويختل ميزان القيم ، وتنعكس المفاهيم ، وتنطمس معالم الهدي ، ويصعب التقويم وترتبك المقاييس ، ويكثر الباطل ويضيع الحق ، حتى يمر المسلم بقبر أخيه فيقول : ليتني مكانه .

[1] سورة الرعد ، الاية ١١ .



www.abugroon.com

# خاتمة

اللهم إني عبد ضعيف كما قلت وقولك الحق ﴿**... وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا**﴾[1] ورغم أن ذاتي مكرمة مفضلة على كثير ممن خلقت تفضيلاً لقولك ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ...**﴾[2] فإني لا أليق بجلالك وعظمتك فكيف يليق بك عملي المشوب الذي لا ينفعني؟ فإنه ليس لعامل عمل ينفعه لقول رسولك الكريم **(لا يدخل أحدكم الجنة بعمله)**[3] إني وحقك يائس من نفع عملي ، وأستحي أن أقابلك به لأنه لا يليق بجلالك ولكنك أنت الله ، الغني ، العظيم ، العزيز ، الكريم ، ولا يزيد عملي في ملكك شيئاً ، ولا تنقص مسألتي من ملكك العظيم شيئاً ، فإن قابلتني بالعدل هلكت يا رؤوف يا رحيم ، لأن كل فعلك عدل فقابلني بالفضل وأنت ذو الفضل العظيم . فإني أسألك ما أنت له أهل وليس ما أنا له أهل. لأني لست أهلاً لشيء . وليس لي عليك حق ، ولكنك أنت الله ، الغني ، الكريم الوهاب فلو سألك من في الأرض كلهم جميعاً وأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك في ملكك العظيم شيئاً . ولو أنك ترزق حسب الأعمال لهلك كل كافر وعاص ... ولكنك كريم يشمل فضلك كل مخلوقاتك حتى من كفر وفجر . فلا تحرمني إلهي من فضلك العميم وخصني برحمتك وهب لي ما يرضيني فإني والله يائس من نفع عملي ولست قانطاً من رحمتك وفضلك وكرمك ... اللهم صلِّ وبارك على سيدنا محمد الذي بعث معلماً وعلى آله.

هب لي حكمة حكماً ورضواناً

وعـافـيـة وعـلـمـاً مـنـك يـنـهـمـر

---

[1] سورة النساء ، الاية ٢٨ .
[2] سورة الأسراء ، الاية ٧٠ .
[3] رواه البخاري .



www.abugroon.com

وعظمني بكم وارفع لقدري

وقربنـي وحـبي فيـك ينـحصـر

وكن ربي وكيلي واكفني أبداً

وجملنـي وسيـل البسـط ينـحـدر

وكن ربي خليلي كن معي هاد

ودافـع عنـي والأعـداء تنـدحـر

وكن لي مانعاً من كل سوء

فأنت لي المحيط الواقي والستر

جهاتي الست غيرك ما بها

فـحـيث أولـي ثـم وجـهـك ظـاهـر

فثبتني على حق اليقين تمكناً

وبـصـــرنـــي بـشـــرعـــك أجـهـــر

وصل على محبوبنا طه

بـعـــد عـلـــم كـمـــالـكـم يـا أكـبـــر



www.abugroon.com

# الكتاب الثاني : كُلِّيَّة الإنسان



www.abugroon.com

بسم الله الرحمن الرحيم

**﴿... فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ...﴾**[1]

[1] سورة النمل : ٩٢ .



www.abugroon.com

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾**[1]

[1] سورة الذاريات : ٢١ .



www.abugroon.com

# عناصر الخلق

هل الأرض هي التراب؟ وإذا كانت كذلك فهل يعني أن القمر إذا كان سطحه من تراب يصح أن يقال له أرض أيضا؟ وما هي الأرضون السبع التي أشار إليها قول الله تعالى **﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ...﴾**[1] أهي سبعة أنواع مختلفة من التراب في طبقات الأرض أم سبعة كواكب ؟.

مهما يكن من أمر فإنّ الإنسان خلق من تراب .. قال تعالى **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم من تُرَاب ...﴾**[2] سواء أكان ذلك سبعة أنواع من تراب هذه الأرض أم تراب من سبعة كواكب تسمى جميعاً الأرض .. ونجد القرآن يذكر الأرض دائماً ، ولم ترد كلمة «الأرضين» رغم تقرير القرآن بأنها سبعة في قوله تعالى **﴿... سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ...﴾**[3] جاء في صحيح مسلم **(قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ)**[4] وعلى ذلك سيكون ذكرنا لكلمة الأرض في هذا المؤلف معناه مجموع السبعة .. كواكب كانت أم أنواعاً من التراب في كوكب واحد .. ومن هذه السبعة – أي الأرض بعبارة أخرى - خُلق الإنسان .. قال تعالى **﴿منها خَلَقْنَاكُمْ ...﴾**[5] ولذلك نجد أن أطوار خلق الإنسان سبعة وهي التراب والماء (الطين) والنطفة والعلقة والمضغة والعظام وكسوة العظام باللحم ثم اكتمال النشأة قال تعالى **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا**

---

[1] سورة الطلاق : ١٢ .
[2] سورة الحج : ٥ .
[3] سورة الطلاق : ١٢ .
[4] مسلم .
[5] سورة طه : ٥٥ .



www.abugroon.com

**النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾**[1] .

وبما أن الخلق بدأ من سبعة واكتمل بسبعة أعني بذلك بدأ من الأرض أو التراب واكتمل بالأطوار السبعة ، فنجد هذا الرقم أصلاً لكثير من الأشياء الأساسية كأيام الأسبوع ، والسماوات والكواكب السيارة ، والصفات النفسية ونجده في العبادات كذلك يكون الأساسية منها كالسبعة المثاني ، وحركات الركعة الواحدة ، والسجود على سبعة أعظم ، وأشواط الطواف حتى إن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله كانت دروعه سبعة وتوفي في العقد السابع.

لنعد إلى ما نحن بصدده فنقول إن التراب هو أصل في خلق الإنسان .. وهو طور الجماد . فالإنسان إذاً من أطواره الجماد .. لا أقول أول طوره إذ ذاك علمه عند الله فِي **﴿... كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾**[2] .. **﴿...وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاء ...﴾**[3] إنما الجماد طور من أطوار الإنسان ومن التراب تتكون الجبال والحجارة والمعادن المختلفة من ذهب وجواهر وأحجار كريمة ، ولكن بعد دخول عوامل أخرى عليه مثل البرودة والرطوبة والحرارة .. والإنسان في هذه المرحلة هو أصل هذا الذهب والحجارة ، لأنه تراب ومن التراب خرجت هذه المعادن كلها . قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **(الناس معادن)**[4] .

ثم تأتي المرحلة التالية في الإنسان وهي دخول عامل الرطوبة عليه وإن شئت قلت الماء فيصبح التراب طيناً .. قال تعالى **﴿... وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾**[5] كما قال صلى الله وبارك عليه وآله (إن الله خمر طينة آدم بيده

---

[1] سورة المؤمنون : ١٢ – ١٤ .
[2] سورة طه : ٥٢ .
[3] سورة البقرة : ٢٥٥ .
[4] البخاري .
[5] سورة السجدة : ٧ .



www.abugroon.com

أربعين صباحاً)[1] فبالتخمير أو التعفين - وهو الطين الآسن - نبعت الحياة فبدأ خلق الإنسان ﴿... مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مسنُون﴾[2] وفي هذه المرحلة يشترك الإنسان مع جميع الأحياء أو على الأصح تشترك معه جميع الأحياء إذ أن كل الأحياء أصلها الماء قال تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن ماء ...﴾[3] ودابة تعني كل حي متحرك ، حتى الشجر والزرع فإنه متحرك ويدب في نموه .. والماء شيىء واحد غير متنوع وهو أصل هذه الدواب الحية كلها ، فالإنسان في هذه المرحلة هو أصل الحيوان والنبات ، وإن شئت قلت هو الماء وزيادة قال تعالى ﴿... وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ ...﴾[4] . قد يبدو هناك استثناء من هذه الآية وهو الجن والملائكة . قال تعالى ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾[5] فالجن أحياء ولكن هل هم من الماء؟ إن الماء يتكون من ذرات الهيدروجين والأوكسجين وكل واحد منهما عنصر ناري فإذا خلق الجان من أيهما فإنه خلق من جزء من مكونات الماء فيمكن إدخاله في الآية . والملائكة كذلك أجسام نورانية ، ومن الماء يمكن استخراج النور ويبدو من البرق نور في السحاب البارد ، فكذلك يمكن إدخال الملائكة في الآية . والله أعلم.

والإنسان قبل الماء كان جماداً . والماء يجمع بين البرودة والرطوبة رغم أنه يتكون من ذرات الأوكسجين والهيدروجين الذين إن فصلا عن بعضها كان كل واحد منهما عنصراً ناريا.

وذلك يكون عند قيام الساعة فتتفجر البحار وتصير ناراً . قال تعالى ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾[6] وقال تعالى ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾[7] .

---

[1] إحياء علوم الدين .
[2] سورة الحجر: ٢٦ .
[3] سورة النور : ٤٥ .
[4] سورة الأنبياء : ٣٠ .
[5] سورة الحجر : ٢٧ .
[6] سورة الإنفطار : ٣.
[7] سورة الطور : ٦ .



www.abugroon.com

والمرحلة التي بعدها هي دخول عامل الحرارة على هذا الطين ليصبح صلصالاً أي فخاراً قال تعالى **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾**[1] والإنسان في هذه المرحلة نموذج شامل للمكونات بل هو عينها وهي التراب والماء والحرارة والبرودة وهي العناصر الأربعة.

وبعد ذلك نفخ الله فيه من روحه بعد أن سواه فعدله في أي صورة ما شاء قال تعالى **﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن روحي ...﴾**[2] . وليست هذه النفخة هي الروح الحيواني فتلك موجودة في الحيوانات والطيور والحشرات ، إنما هي النفخة الرحمانية المميزة للإنسان العاقل ، فاكتمل الإنسان بالنفخ خلقه ليكون خليفة الله بعد أن كان مجموع العناصر أنفة الذكر .. **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خليفة ...﴾**[3] ولذلك خلقه الله على صورته كما جاء في الحديث ( خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ)[4] . وفي رواية (على صورة الرحمن) .

والخليفة يجب أن يكون مؤهلاً للخلافة .. وهذا الشمول الإنساني للمكونات والحيوان والنبات والجماد هو التأهيل للخلافة وهو الذي أكسب الإنسان معرفة المخلوقات وخصائصها والتصرف فيها لأنه أفضلها خلقاً بشموله قال تعالى **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾**[5] وقال أيضاً عز من قائل **﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾**[6] وحواها كمالاً وشمولاً وما حوته . فهو بالنسبة لها الكل وهي بالنسبة له أجزاء ولهذا فهي مسخرة له قال تعالى **﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ...﴾**[7].

---

[1] سورة الحجر : ٢٦ .
[2] سورة الحجر : ٢٩ .
[3] سورة البقرة : ٣٠ .
[4] رواه البخاري وأحمد .
[5] سورة الإسراء : ٧٠ .
[6] سورة التين : ٤ .
[7] سورة الجاثية : ١٣ .



www.abugroon.com

وبجعل الإنسان خليفة في الأرض فما على الكائنات إلا الطاعة سفلية كانت أم علوية ، لأنه بتكوينه المادي حوى السفلية منها ، وبالنفخة الرحمانية حوى العلوية .. ولذلك لما خلقه الله تعالى قال لملائكته **﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾**[1] فعلى الرغم من أن الملائكة أرواح مجردة عن المادة سجدوا لآدم الذي بدأ خلقه من المادة **﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾**[2] ولم يكن سجودهم لآدم إلا بعد أن نفخ الله فيه من روحه ، وذلك لعظمة هذه الروح ، وعلو مرتبتها وحكمها عليهم فخضوعهم كان لما سرى في آدم من روح الله إثر النفخة الإلهية ، فسجدت تلك الأرواح المجردة - أي الملائكة - لهذه الروح الأعظم .

وبذلك أصبح الإنسان النموذج الشامل لمخلوقات السموات والأرض ، بل وسيدها ، وخليفة الله فيها والمتصرف فيها ، لأنها على التحقيق هي نفسه الكلية الشاملة لها جميعها ، فتصرف الإنسان في هذه المخلوقات هو تصرفه في نفسه لأنها ليست غيره ولا هو غيرها . فلولا الإنسان ما خلق الله هذه المخلوقات . لأنه المقصود بالخلق الحمل الأمانة الإلهية في الكون **﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ ...﴾**[3] ، ليعرف الله ويحبه **﴿... وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً للهِ ...﴾**[4] وليعرف قبل ذلك نفسه بكليتها ومن عرف نفسه عرف ربه ، وأنه هو مجموع المخلوقات وكلها معا . وما جرمه الصغير هذا إلا مثالاً حاول حاو للكلية ، وهذا الجرم نفسه ما خرج عن المخلوقات التي تكون هذه النفس الكلية.

ثم خلق الله لهذا الإنسان زوجه من نفسه - لأن نفسه كلية حاوية لا يخرج عن دائرتها مخلوق - فكانت جزءاً منه من طينة واحدة تكونت منها الخلية

---

[1] سورة ص : ٧٢ .
[2] سورة ص : ٧٣ .
[3] سورة الأحزاب : ٧٢ .
[4] سورة البقرة : ١٦٥ .



www.abugroon.com

الأولى .. قال تعالى ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً ...**﴾[1] فهي إذا ليست من غيره بل من نفسه .. وعليه فكل ما خرج منهما من ولد فإنه ليس غير أبيه .. قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء...**﴾[2] فالخلق كلهم من نفس واحدة ..

قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **(كلكم لأدم ، وآدم من تراب)**[3] والإستشهاد بحديث الرسول صلى الله وبارك عليه وآله هو إستشهاد بقول الحق لقوله تعالى ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾[4] وقوله صلى الله وبارك عليه واله **(إِنّي لأَمْزَحُ ، وَلا أَقُولُ إلا حَقًّا)**[5] ، قيل يا رسول الله إنك تداعبنا قال **( ... لا أقول إلا حقاً )**[6] والولد جزء من والده بالنسبة لانحداره من صلبه ومن أعز خلاصة دمه ، وتكوينه هو نفس تكوين والده، لأنه مجموع تلك العناصر الأولية زائداً النفخة الرحمانية.

قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **( الولد سر أبيه )**[7] إذاً هو ليس غير أبيه لأنه جزؤه لانحداره منه ، ولاحتوائه لما يحتويه أبوه من مكونات خلق الإنسان .. وكل إنسان هو الآخر بعينه وذاته إذ كل الناس لآدم كما جاء في الحديث . وما خرج من آدم هو آدم لأنه جزء منه ، وأمه حواء جزء منه كما أسلفنا ، . فالإنسانية واحدة ولكن الإختلاف في الأسماء والصفات والأفعال ، وهذا الإختلاف هو كاختلاف أعضاء الإنسان عن بعضها كالرأس واليد والرجل ، فرأس زيد ماهو غير زيد ، .. وكذلك رجله ويده ، والجميع يكوّن ذاتاً واحدة . قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **( مثل**

---

[1] سورة الروم : ٢١ .
[2] سورة النساء : ١ .
[3] أخبار مكة للأزرقي .
[4] سورة النجم : ٣ .
[5] المعجم الكبير للطبراني .
[6] مسند أحمد .
[7] تفسير حقي .



www.abugroon.com

**المسلمين ... كمثل الجسد )**[1] ، وهي الكَثْرَة في الوحدة ، وكما أن الناس خلقوا من نفس واحدة ، فكذلك يكون البعث لنفس واحدة هي ذاتها وذلك لقوله تعالى **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء...﴾**[2] وقال تعالى **﴿... كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾**[3] فالناس جميعهم فرد واحد من حيث الذات ، وسيبعثون فرداً واحداً .. قال تعالى **﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فرداً﴾** [4] وقال تعالى **﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَة ...﴾**[5] وما هذه الكثرة التي نراها إلا تعدد الأسماء والصفات والأفعال لهذه النفس الكلية .. أو الفرد الجامع .. أو الذات الشاملة لأعضاء ماهي غيرها ، وهي الكثرة في الوحدة كما ذكرنا . وأجزاء الجسد الكلي أو الذات الجامعة هذه كالذرات بالنسبة للجسم الطبيعي فهي متشابهة ، وتؤدي كل منها دورها المختلف عن غيرها . وكذلك الناس في الفرد الجامع أو النفس الكلية . ولأننا نرى الأشياء بعقولنا لا بحقيقتها هي ، فرؤيانا قد تكون خاطئة وكذلك السمع لقوله صلى الله وبارك عليه وآله **(ولكن السمع يخطيء)**[6] وليست هي الحقيقة وإلا لما قال صلى الله وبارك عليه وآله **(اللهم أرنا الأشياء كما هي)**[7] ورؤية الأشياء كما هي ، قد تكون هي رؤية الذات الإنسانية الجامعة أو النفس الكلية والله أعلم .

---

[1] مسند شهاب القضاعي ومعجم ابن عساكر .
[2] سورة النساء : ١ .
[3] سورة الأعراف : ٢٩ .
[4] سورة مريم : ٩٥ .
[5] سورة لقمان : ٢٨ .
[6] مسلم .
[7] صيد الخاطر لإبن الجوزي .



www.abugroon.com

# إدراك الكلية

قال تعالى **﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ منه ...﴾**[1] .. نجد أن الإسلام يكاد يكون كله قواعد المعاملة الإنسان لنفسه الكلية .. جاء رجل إلى رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **(فقال يا رسول الله ما الدين؟ قال : حسن الخلق)**[2] .. فمعاملة الإنسان لغيره من المخلوقات في الحقيقة هي معاملة لذاته سواء عرف ذلك أم لم يعرف ، لأن كل ما يعمله من خير أو شر عائد عليه قال تعالى **﴿... وَمَا تُقَدِّمُوا الأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ ...﴾**[3] ولم يقل وما تقدموا لغيركم.

ففعل الإنسان الذي يظنه لغيره هو في الحقيقة لنفسه كما صرحت بذلك الآية الشريفة قال تعالى **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾**[4] وقال عز من قائل **﴿... وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...﴾**[5] فما يقدمه الإنسان من خير إنما يقدمه لنفسه لا لغيره لأنه في الحقيقة لا غير ، إذ أن كل إنسان كما أسلفنا لآدم - كما جاء في الحديث - وما خرج من آدم ما هو غيره حواء كانت أم النطفة .. وقال الرسول الأعظم صلى الله وبارك عليه وآله **﴿إنما هي أعمالكم ترد إليكم﴾**[6] ولذلك نجد العارفين الذين عرفوا ذاتهم الكاملة لا يؤذون شيئاً على الإطلاق ويتحلون بلين الطبع وحسن الخلق ، ويحبون كل شيء وسعته رحمة الله ، ويحبهم كل شيء حتى الشجر والحجر والحيوانات والطير وتخاطبهم ويخاطبونها .. قدوتهم في ذلك سيد العارفين ، الرؤوف الرحيم ، سيد الخلق أجمعين الذي هو من أنفسهم لا من

---

[1] سورة آل عمران : ٨٥ .
[2] تخريج الإحياء للعراقي .
[3] سورة المزّمِّل : ٢٠ .
[4] سورة محمد : ٢٤ .
[5] سورة الروم : ٦ – ٧ .
[6] حلية الأولياء .



www.abugroon.com

غيرهم لأنه لا غيرية **﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**[1] .

وقد نهى صلى الله عليه وآله وبارك عن حرق النمل وقال **(لا تعذبوا بالنار فإنه لا يعذب بالنار إلا ربها)**[2] وورد في الحديث **( عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ قَالَ فَقَالَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ لَا أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلَا سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا وَلَا أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ)**[3] فكان ديدنه الرفق بالمخلوقات وجاء ليعلم الناس ذلك . قال صلى الله وبارك عليه وآله **(بُعِثْتُ مُعَلِّماً)**[4] وقال **(إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِمَ صَالِحَ الأَخْلاقِ)**[5] وقد مدحه الله برقة قلبه حين قال عز من قائل **﴿... وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ...﴾**[6]وقال تعالى **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عظيم﴾**[7] فإذا علم الناس ذلك ارتاحوا **﴿... وَقُل رَّبِّ زِدْنِي علماً﴾**[8] وما الفرق بين إنسان وآخر إلا في معرفة ذاته . فمن عرفها ارتاح وعاملها بما تحب ولم يؤذها بأعماله التي ترد عليه . فتحبه المخلوقات كلها وهي ذاته . وقد ورد في الخبر أن الحجر رد السلام على النبي صلى الله وبارك عليه وآله[9] ، والشجيرات جئن لقضاء حاجته حين دعاهن[10] ، وشهد الضب بأنه رسول الله[11] ، وسجد له

---

[1] سورة التوبة : ١٢٨ .
[2] مصنف بن أبي شيبة .
[3] البخاري .
[4] سنن ابن ماجة .
[5] مسند أحمد .
[6] سورة آل عمران : ١٥٩ .
[7] سورة القلم : ٤ .
[8] سورة طه : ١١٤ .
[9] مسلم .
[10] مسلم .
[11] دلائل النبوة للبيهقي .



www.abugroon.com

الجمل[1] ، وحنّ له الجذع كحنين الناقة[2]، وظللته السحب[3] ، وكان يسمع تسبيح الطعام بين يديه[4] .. **﴿... وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ ...﴾**[5] .

وذلك لكمال ذاته واتساعها للكل لأنه الرحمة التي وسعت كل شيئ ، وهو أكمل الخلق معرفة بالذات ، ولذلك كانت تنفعل له الكائنات إذ ما هي إلا هو . فيكون له ما يريد حين يريد ... فينثني له الغصن ليقطف منه ، وينشق له القمر[6] وترتد الشمس بعد غروبها[7] وترجع العين المفقوءة إلى مكانها في حالة أفضل وأحدّ[8] ، ويبصر الأعمى وينبع الماء من إبهامه[9] ، ويكثر الطعام[10] ويقوم له الميت[11] ..

والرسول صلى الله وبارك عليه وآله ليس له من الأمر شيء قال تعالى **﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ...﴾**[12] فأمره أمر الله **﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ الله ...﴾**[13] لأنه حق ، قال تعالى **﴿... وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ...﴾**[14] وكل المخلوقات ناصيتها بيد الله قال جل شأنه **﴿... ما مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ...﴾**[15] فالفعل إذاً ليس فعل الذات الجامعة ، إنما هو فعل الله فيها وبها قال تعالى **﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ**

---

[1] دلائل النبوة للبيهقي .
[2] البخاري .
[3] سنن الترمذي .
[4] دلائل النبوة للبيهقي .
[5] سورة الإسراء : ٤٤.
[6] البخاري .
[7] المعجم الأوسط لطبراني .
[8] دلائل النبوة للبيهقي .
[9] البخاري .
[10] دلائل النبوة للبيهقي .
[11] دلائل النبوة للبيهقي .
[12] سورة أل عمران : ١٢٨ .
[13] سورة النساء : ٨٠ .
[14] سورة آل عمران : ٨٦ .
[15] سورة هود : ٥٦ .



www.abugroon.com

رَمَى ...﴾[1] وقال تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾[2] ليعلم أهل العلم أن الفعل فعل الله ﴿... وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[3] وطاعة الكائنات له صلى الله وبارك عليه وآله إنما هي في الحقيقة طاعتها لله ، قال تعالى ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ...﴾[4] فليس للفاعل من نفسه في نفسه فعل .. ولا فاعل إلا الله في هذه النفس الكلية الشاملة لجميع المخلوقات فاعلها ومنفلعها . ولذلك نجد الأدب النبوي في الإسلام لله تبارك وتعالى في أحاديثه صلى الله وبارك عليه وآله حين يقول **(إنّما حبب إلى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى في الصلاة)**[5] ولم يقل (أحببت) لمعرفته الكاملة بأن المتصرف والفاعل هو الله وحده جل شأنه في هذه النفس الكبيرة الشاملة الحاوية لجميع المخلوقات .. ويؤكد صلى الله وبارك عليه وآله أن لا فاعل فيه إلا الله لقول الله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾[6] فكل قوله صلى الله وبارك عليه وآله هو قول الله تبارك وتعالى أُجري على لسانه .. قال تعالى ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[7] والمعلوم أن القرآن كلام الله لا يخالف في ذلك من كان له قلب .. فبما أنه لا ينطق عن هوى فقوله إذا قول الله أعني القرآن .. فقوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[8] يعني منزل من عند الله ، وأن هذا الذي قاله الرسول صلى الله وبارك عليه وآله هو قول الله .. إذ المعلوم أن القرآن منزل من عند الله وهو قول الله ولكنّ الآية تؤكد ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[9] فلا يستقيم هذا عقلاً إلا إذا جردنا الرسول صلى الله وبارك عليه وآله وجبريل عن القول والفعل ونسبناه إلى الله ليكون القائل هو الله والفاعل إذ لا حول ولا قوة إلا بالله ، وليس للرسول من الأمر شيء حتى

---

[1] سورة الأنفال : ١٧ .
[2] سورة الواقعة : ٦٣ – ٦٤ .
[3] سورة العنكبوت : ٤٣ .
[4] سورة النساء : ٨٠ .
[5] النن الكبرى للبيهقي .
[6] سورة النجم : ٣ .
[7] سورة التكوير : ١٩ .
[8] سورة التكوير : ١٩ .
[9] سورة التكوير : ١٩ .


www.abugroon.com

لو كان المقصود من كلمة «رسول» في الآية جبريل .. وإما أن نؤكد أن القرآن قول رسول كريم وأن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله لا ينطق عن الهوى .. وفي كلا الحالين يرد الأمر إلى الله قال تعالى **﴿لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾**[1] فكل فعل الرسول صلى الله وبارك عليه وآله إنما هو فعل الله فيه ، وحينما أقول فيه أقصد في كل المخلوقات ذلك أن الإنسان هو الأنموذج الشامل للمخلوقات السفلية والعلوية - كما ذكرنا أنفاً - فاعلها ومنفعلها .. ومعاملة الصحابة (رض) للنبي صلى الله وبارك عليه وآله إنما هي معاملة الجزء للكل والفاعل في الجميع (الكل) هو الله .. وكل جزء (فرد) هو كلّي لكن الإختلاف كما ذكرت هو في معرفة الجزء (الإنسان) هذا لكليته هذه . فكلما إزداد الإنسان معرفة إزداد أدباً وحسناً في الخلق والسلوك والمعاملة .. ولذلك حث الرسول صلى الله وبارك عليه وآله على طلب العلم من المهد إلى اللحد .. وقال تعالى لنبيه الكريم **﴿... وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾**[2] إذ العلماء هم ورثة الأنبياء، وهم أكثر الناس معرفة بالله وبأنه آخذ بناصية كل دابة ، متصرف فاعل فيها في كل لحظة ، ولذلك هم أكثر الناس خشية له قال تعالى **﴿... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء ...﴾**[3].

قال تعالى **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ...﴾**[4] هذه الآية الشريفة تأكيد بأن الفاعل في هذه النفس الكلية هو الله وحده لأن الآية الشريفة رغم إثباتها لبيعة الصحابة للنبي صلى الله وبارك عليه وآله أثبتتها لله . وذلك يوضح بجلاء سلب الفعل أو الحول والقوة من الذات الجامعة في سكونها وحركتها .. فمبايعة الصحابة له هي في الحقيقة فعل نفسه صلى الله وبارك عليه وآله في نفسه كما أثبتنا من قبل أن الإنسان هو الأنموذج الشامل للمخلوقات علويها وسفليها . وأعظم الناس معرفة هو محمد صلى الله وبارك عليه وآله ، والفاعل في هذه النفس الشاملة هو الله لا إله إلا هو الحق الملك المبين ..

---

[1] سورة الأنبياء : ٢٧ .
[2] سورة طه : ١١٤ .
[3] سورة فاطر : ٢٨ .
[4] سورة الفتح : ١٠ .



www.abugroon.com

قال تعالى مخاطباً هذه النفس الكاملة الكلية الشريفة سالباً عنها الفعل من ذاتها راداً الفعل إلى ذاته **العلية ﴿... وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ...﴾**[1] .

ولعل كل الرسالات جاءت لتعرف الإنسان بكماله وشموله هذا .. وإن شئت قلت بكليته . قال تعالى **﴿مِنْ أَجل ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ...﴾**[2] وقال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **(لا يستكمل عبد الإيمان كله ، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وحتى يخاف الله في مزاحه وجده)**[3] لأن أخاه في الحقيقة هو نفسه ما غيرها ، ولذلك جاء الإسلام ليعلم الإنسان كيف يعامل نفسه أي كيف يعامل جميع المخلوقات .. وقد ورد في الحديث **( وَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ إِيمَانًا ؟ قَالَ : أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» قُلْتُ : فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ إِسْلَامًا؟ قَالَ : «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ»)**[4] وقال صلى الله وبارك عليه وآله **(مثل المسلمين ... كمثل الجسد)**[5] هذا ليعلم المسلم الذي لم يدرك كليته أنه جزء من هذا الجسد ، وأن الفاعل في هذا الجسد الكلي هو خالقه المتصرف فيه ، قال تبارك وتعالى على لسان سليمان عليه السلام **﴿... يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطير ...﴾**[6] فرد سليمان العلم إلى الله تبارك وتعالى بقوله (عُلِّمْنا) وذلك لكمال معرفته عليه السلام ، وبين حقيقة هامة أخرى بقوله (عُلِّمْنا) وتلك هي شموله للناس أجمعين ، ولم يقل (عُلِّمْتُ) فكل إنسان عرف نفسه بكليتها وكمالها وشمولها معرفة اليقين بلا شك يعلم منطق الطير والنمل بل وكل المخلوقات .

---

[1] سورة الأنفال : ١٧ .
[2] سورة المائدة : ٣٢ .
[3] معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني .
[4] المعجم الكبير للطبراني .
[5] مسند الشهاب القضاعي ومعجم ابن عساكر .
[6] سورة النمل : ١٦ .



www.abugroon.com

www.abugroon.com

# لمن كانت الرسالة؟

إذا عرفنا أن الإنسان كلّي أو هو في الحقيقة جميع المخلوقات فلمن كانت الرسالة ؟ ولمن بعث محمد صلى الله وبارك عليه وآله وهو الكل؟ .

قال تعالى **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ...﴾**[1] وقال صلى الله وبارك عليه وآله **( بعثت إلى الناس كافّة الأحمر والأسود)**[2] .

رسالة المصطفى صلى الله وبارك عليه وآله إنما كانت للعلم قال صلى الله وبارك عليه وآله **(بُعِثتُ مُعَلِّماً)**[3] أي لتعلم الأجزاء في هذه الذات الكلية أنها في الحقيقة ما غير الذات.

أي ليعلم كلّ إنسان أنه هو الكل . وهذه الأجزاء هي في الحقيقة كلّية شاملة ولكنها تجهل ذلك . وهي في حاجة إلى أن تعلم أنها كلّية . فبعث الرسول صلى الله وبارك عليه وآله ليعلمها ذلك فقال **(بُعِثتُ مُعَلِّماً)**[4] والرسول صلى الله وبارك عليه وآله علم أصحابه المعاملة لذواتهم بأقواله وأفعاله حتى تخلقوا به ، وحتى كان منهم من تحييه الملائكة كحذيفة رضي الله عنه ومنهم من قال حين سئل عن حقيقة إيمانه **(وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها)**[5] فقال له صلى الله وبارك عليه وآله **(عرفت وأمنت فالزم)**[6] ومنهم من قال له **(أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي)**[7].

---

[1] سورة سبأ : ٢٨ .
[2] مسند أحمد .
[3] سنن ابن ماجة .
[4] سنن ابن ماجة .
[5] مصنف بن أبي شيبة .
[6] مصنف بن أبي شيبة .
[7] البخاري .



www.abugroon.com

بعث صلى الله وبارك عليه وآله معلماً لأجزائه هذه لتعلم أنها ليست غيره أي لتعلم أنها كلية فتعرف كيف تعامل بعضها بعضاً والمعاملة هي الدين كما جاء في الحديث .. بعث ليرفعهم من ظلمة الجهل الذي يدفعهم للتنافر والتحاسد وأذى نفوسهم إلى نور العلم بذواتهم المحيطة الشاملة وصفاتها وأفعالها لأن الجاهل عدو نفسه ، إذ لا غير نفسه ليعاديها ، وإنما هي أعماله ترد عليه ، بعث صلى الله وبارك عليه وآله رفقاً للعباد بأنفسهم **﴿...لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ...﴾**[1] ولذلك كان هو رحمة الله .. قال تعالى **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾**[2] وقال تعالى **﴿...إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**[3] وقال أيضاً جل شأنه **﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ...﴾**[4] لكمال معرفته بنفسه التي هم ليسوا غيرها وقصورهم هم عن معرفتها . قال صلى الله وبارك عليه وآله لعلي **(أنت مني وأنا منك)**[5] وقال الرسول الكريم ما معناه أنا أحبسكم عن النار وأنتم تتهافتون عليها[6] ، وذلك كان يؤذيه لأنهم ليسوا غيره فقال **(لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلا)**[7] ولذلك نجد العارفين أكثر الناس جدية - وأقلهم مزاحاً وضحكاً وأكثرهم خوفاً وشفقة على الناس من بعدهم عن معرفة الله . ولذلك يدعون لهم بالإصلاح والخير لا بالهلاك وإنزال البلاء ، حتى على أولئك الذين يؤذونهم . فهم كما قال تعالى **﴿...وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ...﴾**[8] . ويشفقون كذلك على كل المخلوقات لأنها هم ، ونجد أنّ الرسول صلى الله وبارك عليه وآله نهى عن الوقوف بالدابة

---

[1] سورة الطلاق : ١١ .
[2] سورة الأنبياء : ١٠٧ .
[3] سورة الدخان : ٥ – ٦ .
[4] سورة الأحزاب : ٦ .
[5] البخاري .
[6] مسند أحمد .
[7] البخاري .
[8] سورة آل عمران : ١٣٤ .



www.abugroon.com

حين يكون الإنسان راكبها ؛ قال صلى الله وبارك عليه وآله **(إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِر)**[1] .

ونجد من سماتهم الصمت ، وذلك لكمال المعرفة إذ الجدل إنما يدل على الجهل بالكلية ، والصمت هو إتباع التربية النبوية .. قال صلى الله وبارك عليه وآله **( مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)**[2] وهذا الحديث يحث على ترك الكلام مطلقاً .. وإن لم يكن جدلاً - إذ أن الجدل منهيّ عنه - ما لم يكن الكلام خيراً .. والخير هو ما يعود للإنسان بما يحب . فقد جاء في الحديث **(أَنَا الزَّعِيمُ بِبَيْت في رياض الجنَّةِ ، وَبِبَيْت فِي أَعْلاهَا ، وَبِبَيْتِ فِي أَسْفَلِهَا لَمَنْ تَرَكَ الْجُدَلَ وَهُوَ مُحِقّ ، وَتَرَكَ الْكَذِبَ وَهُوَ لاعَبٌ ، وَحَسَّنَ خُلُقَهُ للناس)**[3] ومن سماتهم الصبر وعدم شعورهم به إذ أنهم لا يرون أذية من غيرهم بل يرون فعل الله في ذاتهم الشاملة الكلية .. قال تعالى **﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ...﴾**[4] فحالتهم كالمتفرجين أو المنتظرين لفعل الله فيهم وهو الإيمان بالقدر .. فلا يضجرون المصيبة ولا يفرحون بنعمة بل يشكرون على النعمة لأن الله لا يحب الفرحين ، إنما هم في تأمل دائم في أنفسهم مع قول الله تعالى **﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾**[5] وقوله **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ...﴾**[6] ومدحهم الله بهذا التفكر حين قال **﴿...وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾**[7] وما السموات والأرض إلا ذاتهم الكلية وقد ورد في الحديث **(تفكر ساعة خير من قيام ليلة)**[8] وذكر عن الجنيد رضي الله عنه حينما سئل عن أشرف

---

[1] سنن أبي داود
[2] البخاري .
[3] المعجم الكبير للطبراني .
[4] سورة النحل : ١٢٧ .
[5] سورة الذاريات : ٢١ .
[6] سورة فصلت : ٥٣ .
[7] سورة آل عمران : ١٩١ .
[8] مصنف ابن أبي شيبة .



www.abugroon.com

المجالس أنه قال **(الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد)**[1] .. وهو معنى الحديث **(مثل المسلمين ... كمثل الجسد )**[2] وهي أن يرى الإنسان الناس كلهم جسداً واحداً لا فرق لعربي على عجمي ، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى ، والتقوى هي سبيل العلم بالله وبها يمتازون قال تعالى **﴿... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ ...﴾**[3] فيكون منهم كلي المعرفة بكليته ، ويكون منهم جزئي المعرفة بكليته وكلهم جسد واحد ، والفاعل في هذا الجسد المتكامل هو الله وحده أخذ بناصية هذا الجسد المتكامل أي بناصية كل دابة ، يعزّ من يشاء ويذل من يشاء **﴿... ما مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ...﴾**[4] . وأن هذا الجسد إذا تألم منه جزء تألم جميعه إذ أن كل جزء في الحقيقة هو الجسد لا غير وهذا ما جعل العارفين الذين عرفوا الحقيقة يتألمون بآلام غيرهم لأنه لا غيرية في الحقيقة ، إنما هناك جسد متكامل يتألم الكل بآلام الجزء ولا يفرقون بين أنفسهم ولذلك نجد معاملتهم لما يُظن أنه غيرهم كمعاملتهم لأنفسهم ولا فرق . وهذا هو التوحيد وهو معاملة هذا الجسد معاملة واحدة والتيقن من أن الفاعل المطلق في هذا الجسد كله هو الله وحده تعالى وتنزه عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **(تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)**[5] ومعاملة هذا الجسد وحبه كله هو المقصود وقد ورد في الحديث **(لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما)**[6] وحب الرسول هو حب الذات الجامعة في مثلها الأعلى وورد أيضاً **(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه)**[7] وقال تعالى **﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ**

---

[1] شعب الإيمان للبيهقي .
[2] مسند الشهاب القضاعي ومعجم ابن عساكر .
[3] سورة البقرة : ٢٨٢ .
[4] سورة هود : ٥٦ .
[5] البخاري .
[6] مسند أحمد .
[7] مسند أحمد .



www.abugroon.com

**مِنْ أَنفُسِهِمْ ...﴾**[1] وذلك ليرتفع الإنسان من نفسه الضيقة - وهي في الحقيقة شاملة ولا يدري - إلى معرفة حقيقة نفسه الشاملة التي يمثلها المثل الأعلى حبيب الله محمد صلى الله وبارك عليه وآله . فحب الإنسان للرسول صلى الله وبارك عليه وآله هو حبه لنفسه في قمة حقيقتها الشاملة ، وهذا هو الإيمان المطلوب فيدرك الأشياء على حقيقتها ، وذلك هو دعاء الرسول صلى الله وبارك عليه وآله **( اللهم أرنا الأشياء كما هي)** ليدرك الإنسان ويعلم علم اليقين أن الفاعل هو الله وحده في هذه الذات الشاملة أي في جميع المخلوقات وأعمالها قال تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[2] فإذا علم الإنسان حقيقة نفسه الكاملة الشاملة لجميع المخلوقات تيقن من أن الفاعل هو الله وأسلم الفعل لله رب العالمين .. قال تعالى على لسان بلقيس ﴿**... وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ )**[3] .

ولعل هذا هو الإسلام المطلوب الذي قال فيه تعالى على لسان يعقوب في وصيته لبنيه ﴿**... إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾[4] ولذلك كان الرسول محمد صلى الله وبارك عليه واله أول المسلمين ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾[5] هذا الإسلام هو المرتبة المقصودة ، فإذا علم الإنسان كلية نفسه وإحاطتها ، وأن الفاعل فيه هو الله فقد حسن إسلامه .. وكل العارفين يقصرون دون علم الرسول صلى الله وبارك عليه وآله فهو المثال الأعظم للمعرفة الكاملة بشمول نفسه .. قال صلى الله وبارك عليه وآله **(آدم فمن دونه تحت لوائي ولا فخر)**[6] فقوله صلى الله وبارك عليه وآله **(ولا فخر)** يدل على أنه يبين حقيقة فقط ، وهي شموله التام للكل ونفيه للفخر حق في ذاته لأنه لا ينطق عن الهوى فحين يقول لا فخر فذلك يعني

---

[1] سورة الأحزاب : ٦ .
[2] سورة الصافات : ٩٦ .
[3] سورة النمل : ٤٤ .
[4] سورة البقرة : ١٣٢ .
[5] سورة الأنعام : ١٦٢ – ١٦٣ .
[6] مسند أحمد .



www.abugroon.com

أنه لا فخر ولا يعني التواضع فيكون المعنى (آدم ومن دونه تحت لوائي حقيقة) . وهذا دليل واضح لشموله وكليته صلى الله وبارك عليه وآله وهذا الشمول والكلية إنما هو لكلّ إنسان ولكن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله هو المثل الأعلى لها والمعلم ..

قال علي أمير المؤمنين عليه السلام مشيراً لهذه الكلية :

داؤك فيك وما تبصر

ودواؤك منك وما تشعر

وتزعم أنك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر[1]

فهو باب مدينة العلم وقال الرسول له **(أنت مني وأنا منك )**[2] ويدل قوله هذا على علمه بهذه الكلية وإشارته للإنسان بكليته .

[1] تفسير الألوسي .
[2] البخاري .



www.abugroon.com

# الصلاة على النبي

قال تعالى ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ...**﴾[1] .

والنبي كما ذكرنا هو الذات الجامعة للكل فإذا صلاة الله على النبي هي الصلاة على الجميع . وقد قرر القرآن ذلك بقوله تبارك وتعالى ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ...**﴾[2] فالمخاطبة إذا كانت للفرد فهي للكل ، وإذا كانت للكل فهي للفرد أيضاً ولا فرق قال تعالى ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**﴾[3] ولم يقل مثل أحدكم والمثل ممتنع إذ لو كان مثله في كل شيء فذلك يعني أنه هو ، وإن كان هناك اختلاف في جزء يسير ولو جزء من ألف ألف فذلك يعني ليس مثله . فالله وملائكته يصلون على النبي ، والله وملائكته يصلون عليكم ، فالنبي وأنتم شيء واحد من حيث الإنسانية يصلي عليه الله وملائكته، ويتضح ذلك في قول الصادق الصدوق كامل المعرفة سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله وبارك عليه وآله حينما يدخل المسجد : **اللهم صلي على محمد**[4] وفي قوله (حسين مني وأنا من حسين)[5] لعلمه أن ذاته المحمدية هى الذات الجامعة والصلاة عليه هي صلاة على الكل . والمعلوم أن الرسول هو الرحمة عينُها لقوله تبارك وتعالى ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً ...**﴾[6] وقوله تعالى ﴿**... إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّن رَبِّكَ ...**﴾[7] والمعلوم أيضاً أن الرحمة وسعت كل شيء قال تعالى ﴿**... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ...**﴾[8] وهذا يعني أن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله وسع كل شيء أي أن ذاته جامعة

---

[1] سورة الأحزاب : ٥٦ .
[2] سورة الأحزاب : ٤٣ .
[3] سورة الكهف : ١١٠ .
[4] سنن الترمذي .
[5] سنن الترمذي .
[6] سورة الأنبياء : ١٠٧ .
[7] سورة الدخان : ٥ ــ ٦ .
[8] سورة الأعراف : ١٥٦ .



www.abugroon.com

وهي كل شيء بلا شك .. وقد وضح ذلك صلى الله وبارك عليه وآله في قوله **(إنما أنا رحمة مهداة)**[1] . وهذا الإدراك يصله ذوقاً أهل السلوك في محبة النبي صلى الله وبارك عليه وآله ، ويعرف بالفناء في محبة النبي حتى لا يرى المحب غير محبوبه بل لا يجد نفسه فلا يبقى إلا المحبوب يرى نفسه بنفسه ، وإذا سئل صاحب هذه الحالة من هو؟ أجاب بأنه ما غير محبوبه ؛ وتسمى السُكر والغَيبة والفناء في المحبوب . قال أبو مدين رضي الله عنه:

فلا تلم السكران في حال سكره

فقد رفع التكليف في سكرنا عنا

[1] البخاري .



www.abugroon.com

# الذات الجامعة

ولأنّ ذات النبي صلى الله وبارك عليه وآله هي الكل كان ذلك هو سِرُّ عِلمِه بكل ما في الكون صغيره وكبيره ، وبكل الحركات والأفعال الصادرة فيه وممن فيه .. لأنه أوتي العلم بنفسه الكلية الشاملة من لدن حكيم خبير . ولذلك كانت تطوى له المسافات في الأرض وكذلك في السموات كما حدث في إسرائه ومعراجه . وكان يعرف سعة عقول الناس جميعاً ، فيخاطب كلاً على قدر عقله ، وقال صلى الله وبارك عليه وآله **(أُمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم)**[1] وكما ذكرت أن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله قال **(بُعِثتُ مُعَلِّماً)**[2] فعلى الناس أن يقتدوا به في سائر أفعاله وأقواله حتى تكتمل معرفتهم فيدركوا بذلك كليتهم . وقد اتبعه الصحابة عليهم رضوان الله في سلوكهم حتى أدركوا قدراً كبيراً من كليتهم هذه ، متبعين في ذلك قول الله تبارك وتعالى **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ مِّن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْأٰخِرَ ...﴾**[3] لأنه هو المعلم الأول للسلوك في الحديث والمعاملة..

ويظن الذين لم يعلموا بعد بكليتهم ، أو قصرت عقولهم عن إدراكها أن هناك خرق للعادة ، ولكن في الحقيقة لا تحدث حركة غير عادية في هذا الجسد المتكامل ، بل مثلها مثل تحريك اليد أو أي عضو في الجسد حينما تحتاج النفس لتحريكه .. فأولى بالناس أن لا يتعجبوا لحصول الكرامات وغيرها **﴿... قُلْ كُلّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾**[4] . فكل ما يحدث من إنسان فيما يظن أنه خرق للعادة في الحقيقة يدل على أن هذا الإنسان أدرك كليته وأنه مثال لهذه الكلية في زمانه . وكانت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم القدوة لأنهم المثل الأعلى للكلية . وقد أشار القرآن الكريم

---

[1] مجموع الفتاوى لإبن تيمية .
[2] سنن ابن ماجة .
[3] سورة الأحزاب : ٢١ .
[4] سورة النساء : ٧٨ .



www.abugroon.com

للكلية هذه في أشخاص الرسل عليهم السلام فقال تعالى ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً...**﴾[1] والمطلوب من كل فرد أن يكون أمة ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ...**﴾[2] فالإقتداء بالرسول صلى الله وبارك عليه وآله في كل أفعاله وأقواله هو السبيل الوحيد الذي يجعل الإنسان كلياً أي أمة.

وليست الكلية هذه هي المنتهى . قال تعالى ﴿**وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى**﴾[3] فالمنتهى إلى الله جل شأنه حيث لا انتهاء . وبعد إدراك الكلية التي هي إسلام النفس الكلية لله رب العالمين ، مرحلة الإيمان . وهي أن لا يغفل عن أن الفاعل الوحيد في هذه النفس الكلية هو الله وحده ولا يكون إلا ما يريده الله من فعل أو قول . ثم بعد ذلك مرحلة الإحسان ، وبعدها مراحل عدة ولا نستطيع عد مراحل السير فتلك ﴿**... عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى**﴾[4] والله سبحانه ﴿**رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ...**﴾[5] ولا يجوز لإنسان صحيح البدن - بفتوى من عنده - أن يمتنع أو يترك فعلاً أو عبادة كان يعملها رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله لأنه الأسوة الحسنة ، مهما أدرك هذه الكلية أو ما بعد الكلية .. قال تعالى ... ﴿**وَفَوْقَ كُلَّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾[6] وقال لأكرم خلقه الذي هو أعظم مثال للعلم بالكلية وما بعدها .... ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي علماً**﴾[7] على الرغم من قوله صلى الله وبارك عليه وآله **(أعطيت القرآن ومثله معه)**[8] فمهما بلغ الإنسان من العلم لن يحوي جميع علوم القرآن وأسراره وتأويله . وحتى لو جاز فذلك مبلغه من العلم ، فأين باقي العلم الذي هو مثل القرآن الذي اختص به محمد صلى الله وبارك عليه وآله ؟

---

[1] سورة النحل : ١٢٠ .
[2] سورة الأحزاب : ٢١ .
[3] سور النجم : ٤٢ .
[4] سورة طه : ٥٢ .
[5] سورة غافر : ١٥ .
[6] سورة يوسف : ٧٦ .
[7] سورة طه : ١١٤ .
[8] مسند أحمد .



www.abugroon.com

وقد قال صاحب العلوم المعجزة **(وجعلت قرة عيني في الصلاة)**[1] فمن ترك الصلاة أو ترك وقتاً منها لظنه أنه على علم فقد إتهم الرسول صلى الله وبارك عليه وآله بالجهل وادعى أنه أعلم من الرسول صلى الله وبارك عليه وآله وهذا هو الذي أضله الله على علم! وسوف يكون يوم القيامة مع من يقال لهم **﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾**[2] نسأل الله السلامة .. **(إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن)**[3] والسعيد من وفقه الله .. ومن ادعى وصولاً أو إدراكاً وترك فرضاً بفتوى من عنده فقد جهل وانقطع لأن الله تعالى **﴿... كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾**[4] ولا يُدرك فالله أكبر .

ومهما بلغ من العلم هذا الذي ادعى وصولاً وترك فرضاً فإنه لا يتعدى العلم الذي أُمر الرسول صلى الله وبارك عليه وآله بتبليغه أو على جزء يسير من الذي خُيّر فيه الرسول صلى الله وبارك عليه وآله . وعلى ذلك يكون مبلغ علمه جزء يسير من بعض علم الرسول صلى الله وبارك عليه وآله ، وعلى اختيار الرسول . قال صلى الله وبارك عليه وآله **(الله المعطي وأنا القاسم)**[5]. فلا يحق له المفارقة على الإطلاق ، بل يجب عليه إتباع السنة بحذافيرها أدباً ومحبة وعلماً لأن النبي صلى الله وبارك عليه وآله هو المثل الأعلى للذات الجامعة الواجب الإقتداء بها للمعرفة.

لهذا لا صحة لحديث أن بلالاً وجد النبي نائماً عند صلاة الفجر فصاح بأعلى صوته «الصلاة خير من النوم»!! ذلك لأن النبي صلى الله وبارك عليه وآله شهد له الله سبحانه بأنه يقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه . وقال صلى الله وبارك عليه واله **(إنّ عينيّ تنامان ولا ينام قلبي)**[6] . أولاً : يستحيل أن ينام

---

[1] مسند أحمد .
[2] سورة المدّثر : ٤٢ – ٤٣ .
[3] مسلم .
[4] سورة الرحمن : ٢٩ .
[5] البخاري .
[6] البخاري .



www.abugroon.com

النبي عمّا أرسل به . ثانياً : لا يجوز لبلال تصحيح النبي في ما جاء به لأنه لا يعلم إن كان هناك تغيير في وقت الصلاة . ثالثاً : يجب عليه الاتباع فإن وجد النبي نائماً عليه النوم إتباعاً فليس هو بأفضل ممن جاء بها ولا أحرص عليها منه ، فإن كان بلال قد فعل ذلك فإنّه يدخله في سوء الأدب ورفع الصوت عند رسول الله الذي يحبط الأعمال.

فكلما يصل إليه الإنسان فالله بخلاف ذلك وأكبر. ويكون ما وصل إليه درجة فقط من درجات الله ، والله **﴿تعالى رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ...﴾**[1] والسير فيه تعالى لا ينتهي لإنه واسع ولا يحاط به علماً فالله أكبر .. **﴿... وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاء ...﴾**[2] . فما على الإنسان إلا اقتفاء درب الرسول صلى الله وبارك عليه وآله والسير فيه بكل جهد وإخلاص **﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ...﴾**[3] فالرسول صلى الله وبارك عليه وآله هو الشاهد على سير الإنسان لأنه قد وضح الطريق ودعا للإقتداء به **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا ...﴾**[4] ولذلك قال تعالى **﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ...﴾**[5] وقال على لسان حبيبه **﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ...﴾**[6] ومن حبه الله كان سمعه وبصره ويده ورجله أي كان سمعه الله وبصره الله ويده الله ورجله الله كما ورد في الحديث الصحيح ، ومعنى ذلك أنه صار هو الإسم الأعظم للذات الإلهية وليس الذات الإلهية عينها تعالت وتقدست ، بل إسماً علماً يدل على الذات . فيكون من الذين قيل فيهم أنهم قوم **(إذا رؤوا ذكر الله)**[7] كما جاء في الحديث لأنهم أسماء الله وهم أولياؤه وأهله **(أهل القرآن هم أهل الله وخاصته)**[8] وليعلم الذين ينكرون أهل

---

[1] سورة غافر : ١٥ .
[2] سورة البقرة : ٢٥٥ .
[3] سورة التوبة : ١٠٥ .
[4] سورةالأحزاب : ٤٥ .
[5] سورة الحشر : ٧ .
[6] سورة آل عمران : ٣١.
[7] المعجم الكبير للطبراني .
[8] سنن بن ماجة ومسند أحمد .


www.abugroon.com

الله - العارفين بعلو الذات الجامعة المتبعين لها - أن الله أثبت في كتابه أنّ له أهل وله بيت وله حبل وناقة.

وكل ولي هو إسم من أسماء الله تعالى ، ويدل على الذات الإلهية ولذلك هم الراشدون وورثة الأنبياء ، يرشدون الناس إليه تعالى ، ولذلك قال تعالى في الحديث القدسي **(من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)**[1] وهم القوم الذين ورد فيهم الحديث **(بهم تمطرون وبهم تنصرون)**[2] لأن رحمة الله قريبة منهم لإحسانهم ، أي عبادتهم لله كأنهم يرونه قال تعالى **﴿... إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾**[3] ويكون التقرب إلى الله تعالى بالتزام أسمائه لا غير لقوله تعالى **﴿... اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾**[4] ، وقال تعالى **﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ...﴾**[5] وهؤلاء هم الأسماء ولن يجيب المدعو إذا نودي بغير إسمه - كما اقتضت الحكمة - وإذا كانت له أسماء عدة كانت إجابته أسرع إذا نودي بأحب الأسماء إليه وهو الولي في زمانه قال تعالى **﴿... فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ ...﴾**[6] وهذا ما جعل بعض الناس يستنجدون بالأولياء لأنهم أسماء الله التي بها يجيب السائل والطالب ولذلك ورد فيهم **(بهم تمطرون وبهم تنصرون)** و**(هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم)**[7] والولي القطب هو الإسم الجامع الأعظم الذي هو (الله) والله **﴿... هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[8] ومن أنكرهم قبل أن يعرفهم ولم يصحبهم ليعلم حالهم فقد ضل سبيل المعرفة لأنهم الخبراء الدالون على الذات وبهؤلاء الخبراء يصل الإنسان إلى معرفة الله قال تعالى **﴿... الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾**[9]

---

[1] البخاري .
[2] الجامع الصغير للسيوطي
[3] سورة الأعراف : ٥٦ .
[4] سورة التوبة : ١١٩ .
[5] سورة الأعراف : ١٢٠ .
[6] سورة الشورى : ٩ .
[7] البخاري .
[8] سورة الشورى : ٩ .
[9] سورة الفرقان : ٥٩ .



www.abugroon.com

والمعرفة لا تكتسب إلا بالتجربة والممارسة وصحبة العارفين ولذلك سأل إبراهيم عليه السلام خليله تعالى عن كيفية إحياء الموتى فعلمه الله ذلك بأن باشرها بنفسه وصحب موسى الخضر لأجل المعرفة **﴿... هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾**[1] فمن أراد التحقق بالعلم فعليه بتقوى الله ثم صحبة العارفين **﴿... اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾**[2] ومن لم يصحبهم جهلهم وربما أنكر عليهم واتخذهم أعداء فالإنسان عدو لما جهل قال تعالى **﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ...﴾**[3] ، ومنتهى قصدهم هو الحبيب الأعظم والمثل الأعلى للذات الجامعة الإنسانية ، أشرف خلق الله ، وأفضل الأنبياء ، فمن وصل إليه وصل إلى رحمة الله الشاملة فهو الغاية في سلوك السالكين فالله صلى عليه وملائكته .

---

[1] سورة الكهف : ٦٦ .
[2] سورة التوبة : ١١٩ .
[3] سورة يونس : ٣٩ .



www.abugroon.com

# الإسلام

الإسلام هو الدين وكل الأديان والرسالات السابقة جاءت بالإسلام وهو أن يسلم الإنسان نفسه الكلية هذه لله رب العالمين فيتبع الرسول **﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ...﴾**[1] لأنه المثل الأعلى للكلية في كلّ أمة وكل الرسل دينهم الإسلام **﴿... لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ...﴾**[2] .

قال تعالى عن سيدنا نوح عليه السلام **﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ المسلمين﴾**[3] وعن سيدنا إبراهيم عليه السلام يقول تعالى في سورة آل عمران **﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**[4] وقال تعالى **﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾**[5] **﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾**[6] .

وقال عز من قائل **﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾**[7] .

---

[1] سورة النساء : ٨٠ .
[2] سورة البقرة : ٢٨٥ .
[3] سورة يونس : ٧٢ .
[4] سورة آل عمران : ٦٧ .
[5] سورة البقرة : ١٣٢ .
[6] سورة البقرة : ١٣٣ .
[7] سورة البقرة : ١٣٦ .



www.abugroon.com

وقال جل وعلا ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[1] وقال تعالى على لسان الملائكة الذين نفذوا العذاب في قوم سيدنا لوط عليه السلام حين جاءوا لسيدنا إبراهيم عليه السلام ليخبروه ﴿**قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ * مُسَوَّمَةً عِندَ رَبُّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ، فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[2] وهذا البيت هو بيت سيدنا لوط عليه السلام وهذا يوضح أن سيدنا لوط كان دينه الإسلام .

وعن سيدنا موسى عليه السلام قال تعالى ﴿**وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ**﴾[3] وقال تعالى ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ ...**﴾[4] وقال تعالى عن سحرة فرعون ﴿**... إِنَّا إِلَى رَبَّنَا مُنقَلِبُونَ * وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ**﴾[5] .

وقوم أولئك الرسل كانوا يعلمون أن دين رسلهم هو الإسلام حتى فرعون كان يعلم أن دين سيدنا موسى هو الإسلام قال تعالى ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدُوا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[6] وقال تعالى على لسان سليمان عليه السلام ﴿**أَلا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**﴾[7] وقال ﴿**...**

---

[1] سورة البقرة : ١٢٧ – ١٢٨ .
[2] سورة الذاريات : ٣٢ – ٣٦ .
[3] سورة يونس : ٨٤ .
[4] سورة المائدة : ٤٤ .
[5] سورة الأعراف : ١٢٥ -١٢٦ .
[6] سورة يونس : ٩٠ .
[7] سورة النمل : ٣١ .



www.abugroon.com

**وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾**[1] وقال على لسان بلقيس **﴿... رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**[2] .

وقال تعالى **﴿... قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾**[3] وقال عنهم أيضاً **﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾**[4] .

وقال تعالى على لسان يوسف عليه السلام **﴿... توفني مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾**[5] .

وقال تعالى **﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ منه ...﴾**[6] ولذلك كل الرسل عليهم السلام جاءوا بالإسلام **﴿... لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ...﴾**[7] والتفريق ليس هو التفضيل . ومحمد صلى الله وبارك عليه وآله هو أفضل المرسلين وهو أول المسلمين . قال تعالى **﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾**[8]. وقال تعالى **﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ...﴾**[9] .

والإسلام كما ذكرنا آنفاً بيّن للناس طريق المعاملة وكيفيتها إذ أن المعاملة هي الدين نفسه ، سئل رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **( ما الدين؟ قال : حسن الخلق)**[10] ، وذكرنا كذلك أن المعاملة هي في الحقيقة معاملة النفس الكلية هذه وحبها . ولا يفهم من هذا حب الإنسان الجرمه الصغير

---

[1] سورة النمل : ٤٢ .
[2] سورة النمل : ٤٤ .
[3] سورة آل عمران : ٥٢ .
[4] سورة المائدة : ١١١ .
[5] سورة يوسف : ١٠١ .
[6] سورة آل عمران : ٨٥ .
[7] سورة البقرة : ٢٨٥ .
[8] سورة الأنعام : ١٦٢ – ١٣٦ .
[9] سورة البقرة : ٢٥٣ .
[10] تخريج الإحياء للعراقي .



www.abugroon.com

هذا، فتلك أنانية ضيقة مرفوضة لدى كل ذي علم . لأنها تدل على الجهل بالكلية .. بل المقصود من قولي هو معاملة وحب جميع المخلوقات التي ما هي غير هذه النفس الكلية . ومعنى الحديث ( الدين حسن الخُلُق ) هو أن الدين معاملة جميع المخلوقات بالأخلاق الإلهية ..

قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **( تخلقوا بأخلاق الله )**[1] التي جاءت بها الشرائع . والمعاملة مع الله جل جلاله منها العبادات . والعبادات فيها مشقة على الإنسان قبل أن يعلم أنه كلّي . ومشقتها على النفس ناتجة عن أنها ترويض لها لإدراك كليتها .. فتبدأ المعاملة بالعبادات وهي تكليف ومشقة يقوم بها الإنسان نتيجة لحبه لجرمه الصغير هذا ، لينجيه من العذاب في الآخرة ، ويلقى الثواب ، ويفوز بنعيم الجنان . وهكذا تكون البداية وبتجويد العبادات ، ومراقبة أدائها بإحسان وإتقانها والإخلاص فيها من الآفات كالرياء ، والعجب ، وحبّ الجاه ، والمنزلة والإدعاء والتكبر ، والترفع ، والنظر إلى الناس بعين الإزدراء ، وغيرها من المهلكات ، يسمو قصد الإنسان لمعرفة الله . وتتبين له حقائق الأشياء . وتنتقش في قلبه المعرفة . فينجذب إلى الله ويحبه . فيعلّمه الله العلم الذي لا جهل بعده . قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **( من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم )**[2] وقال أيضاً **( لو توكلتم على الله حق توكله لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا )**[3] ولنناقش الآن هذه المعاملة على ضوء أركان الإسلام :

---

[1] شرح الطحاوية للألباني .
[2] تخريج الإحياء للعراقي .
[3] أحكام القرآن لأبن عربي .



www.abugroon.com

# شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

هذا الركن الأساسي الذي معناه لا معبود بحق إلا الله ورد فيه الحديث **( من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة )**[1] وهذا يعني إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة قال تعالى **﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عبداً﴾**[2] فالشهادة جاءت لتعلم هذه المخلوقات أنهم عبيد الرحمن طوعاً أو كرهاً . فإذا عرفت هذه المخلوقات أو الأجزاء في هذه النفس الكلية، أنها عبيد لله ناصيتهم بيده ، فقد أصبحوا عبيداً طوعاً لمعرفتهم . وإذا لم يعرفوا فهم عبيد أيضاً ، ولكن على كره منهم . وما خوطبوا وما قوتلوا إلا لجهلهم ورفضهم للحق ، ورفضهم الخروج من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة وتصديهم ومعارضتهم للمصلحين **﴿... وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ...﴾**[3] فكان ذلك سبب هلاكهم .. فإذا عرف الإنسان نفسه بكليتها وشمولها لهذه المخلوقات – ومن عرف نفسه عرف ربه - لن يكون إذا عبداً لأحدها . لأنه أكبر من كل واحد منها . وهو في الحقيقة سيدها جميعاً لأنه حواها وما حوته ، وخليفة الله فيها . فلن يعبد حجراً ولا شجراً ولا ناراً ولا نفسه بكليتها .. بل يلجأ إلى خالق هذه النفس الكلية الجامعة وخالق أعمالها ذي العرش المجيد ، الذي قصر عنه كل وصف ونعت وصفه به الواصفون **﴿... سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾**[4] المنزه عن كل ما لا يليق بجلاله وعظمته المهيمن على الكل .. فالشهادة إذاً جاءت لتخرج الناس من ضيق أنفسهم إلى سعتها **﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسلام ...﴾**[5] حتى يتعالى الإنسان عن عبادة الأصنام والبقر والشمس بل وعن عبادة إنسان آخر ، إذ ليس ذلك الآخر إلا هو فليس هناك سيد ومسود .. قال صلى الله

---

[1] سنن أبي داؤود .
[2] سورة مريم : ٩٣ .
[3] سورة غافر : ٥ .
[4] سورة الأنعام : ١٠٠ .
[5] سورة الأنعام : ١٢٥ .



www.abugroon.com

وبارك عليه وآله **( الناس كأسنان المشط )**[1] إذ كل واحد هو الآخر بعينه وكليٌّ ، عرف ذلك أم لم يعرف . فلا فضل ولا فرق إلا بالتقوى التي تنتج العلم **﴿... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ ...﴾**[2] فكلّ ما هنالك عبد كليّ واحد حاوٍ لجميع هذه المظاهر في السماوات والأرض **﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عبداً﴾**[3] وما هذه المظاهر ، أي هذه الأجزاء أو هؤلاء الناس إلا كُلِّيون بخلقهم ، لأنّ التكوين واحد . ولكنهم أجزاء من حيث معرفتهم . فمتى عرف الإنسان كليته فهو كلّي . والحكم بالمعرفة والعلم وليس بالوجود . وجاء الإسلام ليعرف الإنسان بذاته الواسعة هذه حتى لا تكون عبودية لغير الله تعالى ، فيعلم أن لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا الله أي لا فاعل في الحقيقة إلا الله وحده في هذه النفس الكلية الكاملة التي يمثلها محمد صلى الله وبارك عليه وآله عبد الله ورسوله لأنه كامل المعرفة ومدينة العلم ولذلك **﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ...﴾**[4] .

---

[1] مسند الشهاب القضاعي .
[2] سورة البقرة : ٢٨٢ .
[3] سورة مريم : ٩٣ .
[4] سورة الأحزاب : ٦ .



www.abugroon.com

# الكُفر

الكفر درجات وأنواع وكله جهالة ، والخروج من ظلمته هو قول لا إله إلا الله ، وهو ما جاءت به كل الرسل . **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾**[1] فمن الكفار من قال **﴿... إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ...﴾**[2] وذلك لضيق علمه وعدم وسعه وهذه جهالة مذرية. لأنه حصر نفسه مع أفعال المسيح الخارقة للعادة في نظره . ولم يدر أنّ المسيح عليه السلام أدرك كليته هذه فانفعلت له الكائنات ، لأنها ليست غيره. فكان فعله فيما يراه قومه في غيره من المخلوقات ، ليس إلا حركة عادية في جسد واحد ، إذ لا غيرية . وغاب عنهم أنّ الفاعل في هذا الجسد الكلي هو الله وحده . وقصرت عقولهم عن فهم القدرة . رغم أن هناك مثل يوضح لهم منا التبس عليهم . وهو آدم عليه السلام قال تعالى **﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾**[3] ولجهلهم وقصور عقولهم لم يستطيعوا فهم ذلك ، على الرغم من قول عيسى لهم **﴿... إِنِّي عَبْدُ اللهِ ...﴾**[4] . ووقفت عقولهم عند الكلية هذه ، ولم تستطع تعدّيها واعتقدوا أن الإنسان الكلّي هو الله وفاتهم أنه تعالى **﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ...﴾**[5] وأنه تعالى أكبر من ظنهم وخيالهم ومعتقدهم . وأن الإنسان الكلي ما هو إلا عبد الله في أرقى مقاماته . وما المسيح إلا عبد الله وكلمته ناصيته بيده يفعل الله به ما يشاء . قال تعالى **﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً للهِ وَلَا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ...﴾**[6] .

---

[1] سورة الأنبياء : ٢٥ .
[2] سورة المائدة : ١٧ .
[3] سورة آل عمران : ٥٩ .
[4] سورة مريم : ٣٠ .
[5] سورة الشورى : ١١ .
[6] سورة النساء : ١٧٢ .



www.abugroon.com

وأحب أن أنبه على أن قوله تعالى ﴿... **وَلَا المَلائِكَةُ المُقَرَّبُونَ** ...﴾[1] لا يدل على أنّ الملائكة المقربين أفضل من عيسى عليه السلام ، بل فيها إشارة إلى أن عيسى على الرغم من أنه لم يكن له أب لن يستنكف أن يكون عبداً لله ، والملائكة المقربون ليس لهم آباء ولا أمهات ورغم ذلك لن يستنكفوا أن يكونوا عبيداً لله ، فالآية لا تشير لأفضلية الملائكة ، إنما توضح أن الملائكة الذين ليس لهم آباء ولا أمهات رضوا بالعبودية لله فكيف بعيسى الذي له أم تدل على بشريته وإنسانيته ؟؟.

ومن الكفار من قال ﴿... **إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ** ...﴾[2] وهذه أيضاً جهالة لأنه في اعتقادهم أنّ الله هو الثلاثة الأب والإبن والروح القدس .. تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .. فما مريم والمسيح إلا شيء واحد من حيث الذات . كل واحد منهم هو الكل أي مجموع المخلوقات كلها ، والفاعل فيه هو الله . أمّا عيسى عليه السلام فهو كلي من حيث الخلق والمعرفة . لأنه نبيّ الله وأمه صِدِّيقة . فبالنسبة لمعرفته جزئية وظن قومهما أنها في درجته - لقصورهم عن فهم الصِّدِّيقية والنبوة - لآنها ولدته من غير أب وقصروا عن فهم هذه الحادثة التي يراها الإنسان الكلي المعرفة حركة طبيعية في جسد متكامل الفاعل فيه هو الله وحده .

ومن الكفار من أنكر وجود الله! وهو أحد اثنين إما أن يكون أضله الله على علم ، وإما أن يكون في الدرك الأسفل من الجهالة ..

والنوع الأول من هؤلاء هو الذي أدرك حقيقة كلية الإنسان . فرأى أنّ الإنسان هو الكل ، الحاوي لجميع المخلوقات المتصرف فيها ، وذلك بمقتضى خلافته وتعليم الله له فيكون له ما يريد حين يريد لأن المخلوقات ما هي غير نفسه . وما يحدث في هذا الكون هو نتيجة حركة نفسه الكلية

---

[1] سورة النساء : ١٧٢ .
[2] سورة المائدة : ٧٣ .



www.abugroon.com

هذه حين يريد .. فإدراكه للكلية وتصرفه في هذا الجسد الكلي ، أنساه أن الله هو الفاعل فيه . وأنه هو الذي يبعث فيه هذه الإرادة . وهو الذي يحركه. وهذا النسيان هو الضلال على علم .. **﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ...﴾**[1] . نعوذ بالله أن نركن إلى أنفسنا ، ونخلد إلى الأرض ، وننساه فما جزاء من نسي إلا أن ينسى **﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تنسى﴾**[2] ونسيان الله للعبد ليس من تذكُّر - تعالى الله عن العقل - بل عن تجل إلهي بإرادة ، قال تعالى **﴿... الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ...﴾**[3] فالضالّ على علم هو من الذين **﴿... نَسُوا الله ...﴾**[4] بانشغالهم بكليتهم **﴿... فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ...﴾**[5] أي أنساهم أنهم عباد متصرف فيهم . لأنّه بنسيانه لله انحصر أيضاً في دائرة الكلية هذه فيكون بذلك انقطع عن الله لأن هنالك ما وراء الكلية ما لا يتسع له العقل ولا يكتب في القرطاس ، ونشير إلى ذلك بأنّ قلب العبد المؤمن وحده يسع الله إله المعتقدات ، وفي هذه الحالة يكون العبد هو الحافظ لله . قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله (أحفظ الله يحفظك)[6] أي فرغ قلبك عن كلّ ما سواه ، ولا تنس أنّ الله هو الإسم الأعظم الدال على الذات . فليس إدراك الكلية وحده هو المقصد . إنما هو مرتبة الإسلام فإذا أدركها العبد وسلم بعد ذلك نفسه الكلية لله رب العالمين ، تدرج بعد ذلك إلى مرتبة الإيمان بالله . وأنّه هو الفاعل المتصرف في الكل ، المريد لكلّ شيء ، وأنه لا يحدث شيء في الوجود يكرهه الله إطلاقاً إذ يستحيل عليه تعالى الكراهة .. ثم يتدرج بعد ذلك إلى مرتبة الإحسان ، وهي كما قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **(أن تعبد الله كأنك تراه)**[7] وهذه المراتب الثلاث هي التي ذكرها جبريل عليه السلام للنبي

---

[1] سورة الأعراف : ١٧٥ .
[2] سورة طه : ١٢٦ .
[3] سورة الجاثية : ٣٤ .
[4] سورة الحشر : ١٩ .
[5] سورة الحشر : ١٩ .
[6] سنن الترمذي .
[7] البخاري .



www.abugroon.com

صلى الله وبارك عليه وآله في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب قال : **(بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الإِسْلامَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً قَالَ صَدَقْتَ قَالَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ قَالَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ صَدَقْتَ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ قَالَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ قَالَ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا قَالَ أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ قَالَ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًا ثُمَّ قَالَ لِي يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ)**[1] .

تجدر الإشارة هنا لقول عمر (الله ورسوله أعلم) ولم يقل الله وحده أعلم - خلافاً لما يقول أدعياء التوحيد - لما يعرفه من علم محمد صلى الله وبارك عليه وآله وشموله **(المرء مع من أحب)**[2] ومحمد حبيب الله ﴿**... فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾[3] .

فقد بيّن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله في هذا الحديث مقامات الدين الثلاثة : الإسلام والإيمان والإحسان . ويفهم من هذا الحديث أيضاً أنّ جبريل كان على علم تام بكل ما سأل عنه ولذلك كان عندما تأتيه الإجابة الصحيحة من المعلم صلى الله وبارك عليه وآله يقول له صدقت ، وذلك يدل على أن

---

[1] مسلم .
[2] البخاري .
[3] سورة الحجرات : ٦ .



www.abugroon.com

ما عند جبريل من العلم هو عند محمد صلى الله وبارك عليه وآله ، وعندما سأل جبريل عن الساعة - وهو عالم بما سأل - كان يعلم أنه سيجد الإجابة الصحيحة عند المعلم .

ولكن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله ، هو الأعلم ، ما كان يريد إفشاء علم الساعة . فأجاب ببلاغة لم تكن لغيره . إذ لم ينكر أنه يعلمها ، بل أكد لجبريل أنه يعلمها . وأن ما عنده من العلم مساو لما عند جبريل حيث قال : **(ما المسئول عنها بأعلم من السائل)**[1] . وظن بعض الناس أن هذه الإجابة نفي لعلمه بها وما ينبغي لهم لأنها في الحقيقة رفض لإجابة السؤال فقط ولكنه رفضٌ ببلاغة حول بها العقول لسماع ما بعده . ومما يؤكد أن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله على علم بالساعة ، إجابته عن إماراتها إذ لو لم يكن يعلمها لما علم أماراتها . وهذا الحديث يتضح فيه أنّ المعلم كان رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله وهو الشارح لأسئلة جبريل ولكن بما أنه قال **(هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)**[2] فهذا يعني أنّ جبريل أتى ليعلم القوم دينهم لأنه ما ينطق عن هوى ، إذن ما جاء جبريل إلا ليعلمهم هنا كيفية الأدب في التعامل مع رسول الله لا غير . وهذا هو الدين الذي أتى جبريل ليعلمهم إيّاه فالأدب مع رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله هو الدين . فيجب أن يدخل الإنسان على رسول الله في أحسن صورة من الملبس والنظافة وأن لا يلتفت إلى بقية الجالسين ، ولا يبدؤهم بالسلام ولا يرفع صوته بالسؤال بل يدنو ما أمكن ذلك ليجتنب رفع صوته ، فإنّ رفع الصوت عند رسول الله يحبط الأعمال ، ومن يغض صوته يفوز بالمغفرة والأجر العظيم . قال تعالى **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾**[3] .

---

[1] مسلم .
[2] السنن الصغير للبيهقي .
[3] سورة الحجرات : ٣ .



www.abugroon.com

أما النوع الثاني من الكفار المنكرين لوجود الله فهم أهل الدرك الأسفل من الجهالة وهم الذين يقولون : **﴿... وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ...﴾**[1] ولا يدرون أن الله **(هو الدهر)**[2] وهم الذين يرون أن كل شيء لا علاقة له بالآخر . وكل إنسان لا صلة له بغيره . وكل واحد هو الفاعل المتصرف في نفسه المنفصلة. وليس هناك متصرف فيه . فهو يفعل ما يريد حين يريد بإرادة من ذاته ، ليست مبعوثة فيه ، لا يَرُدُّه وازع ولا دين ولا رابطة ، ولا يحس بمعاناة غيره ، لأنحصاره في نفسه المنفصلة من حيث معرفته وظنه الفاسد. **﴿...إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾**[3] فينغمس في التلذذ والشهوات، ولا يعبأ لما يحصل من ضرر وآفات لهذا الجسد الكلي نتيجة لتصرفه .

فيزني ويقتل ويفسد وإذا ذكر بالموت - والموت فعل في نفسه لكنه من غيره - أدرك أن هنالك فاعل فيه فيأبى ذلك وينكره بقوله : وما يهلكنا إلا الدهر وهذا قول حق في ذاته للحديث **(لا تقولوا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر)**[4]. ولكنه يجهله **﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾**[5] ولجهله كَفَرَ إذ لو علم أن الدهر هو الله كان مؤمناً بقوله : ( وما يهلكنا إلا الدهر) ، ولكن بما أنه يجهل أن الله هو الدهر كان كافراً بنفس القول الذي يكون به غيره مسلم ، ولا فرق إلا بالجهل والعلم . فالقائل وما يهلكنا إلا الدهر كافر إذا كان جاهلاً ، ومؤمن إذا كان عالماً . ومن هذا النوع من الكفار من تمر عليه ظروف يحتاج فيها لإله يلجأ إليه . وبما أنه ضيق ولا يستطيع قلبه أن يسع الله الواسع فإنه يتخذ

---

[1] سورة الجاثية :٢٤ .
[2] البخاري .
[3] سورة الأنعام : ١١٦ .
[4] البخاري .
[5] سورة الجاثية : ٢٤ .



www.abugroon.com

من الحجارة إلهاً ومن البقر والشمس والمخلوقات . **﴿... وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاء ...﴾**[1] .

ومن الكفار أيضاً من رفض الإيمان بمحمد صلى الله وبارك عليه وآله ، ومنهم بعض أهل الرسالات السابقة وذلك إما لأنهم أدركوا الكلية ممثلة في أنبيائهم فعظموهم وأحبوهم واتبعوهم لكنهم حجروا رحمة الله وضيقوها وقصروا النبوة والرسالة على أنبيائهم . وإما لجهلهم بأن **﴿... اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ...﴾**[2] وأنه قادر على أن يبعث رسولاً سيداً مفضلاً على كافة الأنبياء والمرسلين من آدم إلى عيسى عليهم السلام مختصاً بمحبة الله قال تعالى **﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ...﴾**[3] وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك **(أنا سيد الناس يوم القيامة)**[4] ومن كان سيد الناس في الآخرة ، فهو بالسيادة هنا أولى . قال صلى وبارك عليه وآله **(فُضِّلتُ على الأنبياء بخمس : بعثت إلى الناس كافة ، وادخرت شفاعتي لأمتي ، و نصرت بالرعب شهرا أمامي ، و شهرا خلفي ، و جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، و أحلت لي الغنائم ، و لم تحل لأحد قبلي )**[5] .

وكل هذه الأنواع من الكفار طريقة الدعوة لهم إلى الله بالقول اللين أولاً والحكمة والموعظة الحسنة .. قال تعالى لموسى حين أرسله هو وهارون عليهما السلام لفرعون **﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾**[6] على الرغم من أن موسى عليه السلام أرسل لفرعون لطغيانه قال تعالى **﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾**[7] . وقال تعالى مبيناً سبيل الدعوة **﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ...﴾**[8] ونهى الله تعالى عن الجدل لأهل الكتاب

---

[1] سورة الأنعام : ١١٦ .
[2] سورة الأنعام : ١٢٤ .
[3] سورة البقرة : ٢٥٣ .
[4] البخاري .
[5] الجامع الصغير للسيوطي .
[6] سورة طه : ٤٤ .
[7] سورة طه : ٢٤ .
[8] سورة النحل : ١٢٥ .



www.abugroon.com

إلا بالتي هي أحسن قال تعالى **﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾**[1] وإذا رفض الكفار منهم الإسلام لله ، والإيمان باليوم الآخر عليهم دفع الجزية ، وهي الإسلام لخلفاء الله أعني بذلك الحكام المسلمين ، أنبياء كانوا أم أمراء ، وإذا رفض حكام أولئك الكفار وأئمتهم دفع الجزية ومنعوا المبشرين الإسلاميين والدعاة عن التبليغ حينئذ وجب القتال قال تعالى **﴿...فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الكفر...﴾**[2] حتى لا يكونوا عائقاً للحرية وطرح الفكر . فالحرية هي التي خلق الله عليها الإنسان **﴿... فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ...﴾**[3] .

والجزية لا تكون على أهل الكتاب عموماً بل على بعض منهم وصفهم الله تعالى بأنهم **﴿... لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ...﴾**[4] .

فإذا دفعوا الجزية أو أسلموا لله فقد انتهوا . ودفع الجزية كما ذكرت هو نوع من الإستسلام ، وهو الإسلام للحكام والناس وليس إسلام لله ، ولكن من يسلم للحاكم فقد أسلم ضمناً لمن ولاه وهو الله جل شأنه ولذلك فإن دافعي الجزية يعاملون كبقية الرعايا في الدولة التي تطبق التشريع الإسلامي .

والإنسان كما ذكرنا كلي ، وهؤلاء الكفار لم يخرجوا عن دائرة الكلية ، فهم إذاً أجزاء في هذا الجسد الكلي ولكنها أجزاء مريضة فما يرجى برؤه يعالج مهما كانت صعوبة العلاج ، وما لا يرجى برؤه يبتر خشية فساد بقية الجسد، وهذا واحد من أسباب تشريع الحدود في الإسلام والله أعلم .

والإسلام له بداية وقمة حتى تأتي بعده مرحلة الإيمان . فأوله قول (لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) ونتيجة هذا القول هي أنه يعصم الجزء المريض من البتر أعني يعصم الكافر من القتل ولو كان محارباً - لقوله

---

[1] سورة العنكبوت : ٤٦ .
[2] سورة التوبة : ١٢ .
[3] سورة الكهف : ٢٩ .
[4] سورة التوبة : ٢٩ .



www.abugroon.com

صلى الله وبارك عليه وآله لمن قتل من قال لا إله إلا الله (وهو محارب) محتجاً بأنه قالها ليتقي السيف (أفلا شققت عن قلبه ؟)[1] وقمة الإسلام هو تحقيق هذه الكلمة ، وهي كلمة التقوى قال تعالى **﴿...وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى...﴾**[2] قال رسول الله صلى الله عليه وبارك عليه وآله **(أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله)**[3] .

فقول هذه الكلمة هو أفضل القول ، ثم على الإنسان بعد القول أن يعلم علم اليقين أن لا إله إلا الله ، قال تعالى **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ...﴾**[4] وبعد مرحلة علم اليقين بأن لا إله إلا الله تأتي المرحلة الأخيرة المطلوبة وهي تحقيق الشهادة! أعني أنه على المسلم أن يشهد شهادة لا قولاً فقط ولا علماً إذ أن القول يؤدي للعلم والعلم يقود للشهادة والشهادة أو الشهود هو المقصود ، وهو عين اليقين ، ولذلك قال صلى الله وبارك عليه وآله **(الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله)** فذكر الإسلام في قمته وهي الشهادة ، وهي عند العارفين أول مدارج السالكين ، ولذلك كان رد الإمام علي عليه السلام حينما سئل هل نرى ربنا ؟ أجاب (وهل نعبد من لا نشهده؟) .

---

[1] مسلم .
[2] سورة الفتح : ٢٦ .
[3] السنن الكبرى للبيهقي .
[4] سورة محمد : ١٩ .



www.abugroon.com

# إقام الصلاة

قال تعالى ﴿**... وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾[1] والخاشعون هم أهل العلم والمعرفة بالله قال تعالى ﴿**... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء ...**﴾[2] الذين عرفوا أنفسهم بكليتها فخضعوا لله وحده لا لجزء من ذاتهم الكلية ، وذاقوا حلاوة الخضوع والعبودية للحي القيوم ، ولذلك قال صلى الله وبارك عليه وآله **(وجعلت قرة عيني في الصلاة)**[3] لأنها خضوع تام ، وغاية في الإستسلام للملك العلام إذ أن سجود الإنسان لله هو سجود جميع الكائنات لربها .

---

[1] سورة البقرة : ٤٥ .
[2] سورة فاطر : ٢٨ .
[3] زاد المعاد لإبن القيم .



www.abugroon.com

# إيتاء الزكاة

قال تعالى ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بها ...**﴾[1] ولا تعني كلمة «خذ» الإكراه أو الإجبار ولكن أخذ ما يعطونه طواعية من أموالهم إذ لا إكراه في الدين . فإذا كان الدين كله لا إكراه فيه ﴿**... فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ...**﴾[2] فكيف يكون الإكراه على جزء منه . لذلك لا تعني كلمة «خذ» الإجبار أو الإكراه . وشرعت الزكاة من المال من أطيبه فيخرجها الإنسان لمن يظن أنه غيره لذلك يجد صعوبة في إخراجها من أطيب ماله . أما العارفون الذين يعلمون أنهم إنما يخرجونها ويعطونها لأنفسهم لا لغيرها فلا يتوانون في إخراجها من عزيز مالهم لأنّ الإنسان لا يبخل على نفسه شيئاً مهما عز . بل لا يقتصرون على دفع الزكاة وإنما يتصدقون دائماً ويعملون بكل جهدهم لإسعاد البشرية وجلب النفع ودفع الضر عنهم لعلمهم أن البشرية ليست غيرهم وما الناس إلا هم .. قال تعالى ﴿**...وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً ...**﴾[3] ولم يقل (لغيركم) لأنه في الحقيقة لا غير فما يقدمه الإنسان من الخير إنما يقدمه في الحقيقة لنفسه لا لغيره .

أُحِبُّ أَنْ أُنَبِّه على أنني حينما أقول أجزاء كلية أعني بذلك أن الناس كُلِّيّون مِن حيث الخلق ، لا المعرفة . فمن عرف نفسه وأدرك كليتها صار كلياً بحكم المعرفة ، ومن لم يعرفها فهو كلي بحكم الخلق ولا يدري ولذلك جزئي المعرفة والعبرة بالعلم ﴿**...هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ...**﴾[4] إذ الخلق تتساوى فيه جميع الموجودات ، ومن كان موجوداً وجاهلاً فهو ميت قال تعالى ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي**

---

[1] سورة التوبة : ١٠٣ .
[2] سورة الكهف : ٢٩ .
[3] سورة المزّمّل : ٢٠ .
[4] سورة الزمر : ٩ .



www.abugroon.com

**النَّاسِ...﴾**[1] فُسِّرت الحياة بالعلم والموت بالجهل . والعلم هو المقصود قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **(بُعِثْتُ مُعَلِّماً)**[2] وقال **(طلب العلم فريضة على كل مسلم)**[3] وقال **(أطلب العلم من المهد إلى اللحد)** وقال له ربه جل شأنه **﴿... وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلماً﴾**[4] وسئل صلى الله وبارك عليه وآله عن أفضل الأعمال فقال **(العلم بالله)**[5] .

---

[1] سورة الأنعام : ١٢٢ .
[2] سنن ابن ماجة .
[3] سنن ابن ماجة .
[4] سورة طه : ١١٤ .
[5] تخريج الإحياء للعراقي .



www.abugroon.com

# صوم رمضان

أكثر الناس ضيقاً بحوادث الدهر هم الجاهلون لأنهم يرون المضايقات والأذى يأتيهم من غيرهم ولا يعلمون أنه ليس هناك غير ، وإنما هي أعمالهم تُرد عليهم . فشرعت العبادات للخلق وفيها مشقة على غير العارفين ليتحملوا المشاق ويعتادوا الصبر عليها ثم الصبر على المكاره ، فبالصبر يستطيع الإنسان أن يصل إلى إدراك كليته المنشودة ، ولا سبيل لتعليم الصبر إلا بالعبادات التي يظن الناس أنها شاقة كالصوم مثلاً فيتحمل المرء الأذى ويصبر على ما يظنها مشقة لأنها مفروضة عليه حتى يعتاد الصبر ، وبذلك يستطيع الصبر على المكاره وتحمل الأذى وهذه سمات العارفين لما ورد في الحديث **(قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً قَالَ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ)**[1] ولكنهم يعبرون جهنم البلاء على سلم الصبر فتكون لهم البشرى قال تعالى **﴿... وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾**[2] وحث الله تعالى على الصبر في قوله **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ...﴾**[3] فالصابرون الذين تمكنوا وتحققوا بمقام الصبر لا يرون مزية لأنفسهم بصبرهم هذا ويرونه من الله **﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ...﴾**[4] لعلمهم بفعل الله في النفس الكلية هذه . هم العارفون الذين أدركوا كليتهم **﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ...)**[5] فلا يرون إذية من غيرهم بل يرون أعمالهم ترد عليهم ويرفقون بالناس ، لرقة قلوبهم من التجربة التي خاضوها ، ويتألمون لآلامهم كألم الجسد الكلي من ألم العضو ولهذه الرقة والإحساس المرهف فالله معهم قال تعالى **﴿...إِنَّ اللَّهَ مَعَ**

---

[1] مسند أحمد .
[2] سورة البقرة : ١٥٥ ــ ١٥٦ .
[3] سورة آل عمران : ٢٠٠ .
[4] سورة النحل : ١٢٧ .
[5] سورة الإسراء : ١٥ .



www.abugroon.com

**الصَّابِرِينَ﴾**[1] وقال فيهم جل شأنه **﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ ...﴾**[2] . **﴿... إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ )**[3] .

والجوع من أكثر الأشياء ألماً على النفس إذ من المعلوم أن أعظم شهوتين هما شهوتا البطن والفرج ، وشهوة الفرج تابعة الشهوة البطن ، ولذلك جعل العارفون خلو المعدة من الطعام من أقرب الطرق الموصلة إلى معرفة الحقيقة . والصوم في الإسلام أعظم عبادة قال تعالى على لسان نبيه الكريم **(كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به)**[4] فلا جزاء للصائم إلا الله أي الإسم الأعظم! كما أن ملء البطن يورث الكسل والبلادة ويقتل الفكر ويكثر النوم . وقد ثبت أن العقل البشري أكثر ما يكون نشاطاً حال كون الإنسان جائعاً ولهذا قيل : البطنة تذهب الفطنة ، ولذلك نجد العارفين يحضّون على الجوع إذ به يتفتح الذهن فتنطبع فيه العلوم ، قال بعضهم لتلميذه – حاضاً له على الجوع - ألا ترى آلة الموسيقى قد خلا جوفها فحسن صوتها ؟ قدوتهم في ذلك سيد العلماء محمد صلى الله وبارك عليه وآله فقد جاع حتى عصب بطنه بالحجر . وكان صلى الله وبارك عليه وآله يصوم ويواصل صيامه اليومين والثلاثة ، وحينما أراد بعض أصحابه أن يواصلوا الصيام مثله لم يستطيعوا فنهاهم صلى الله وبارك عليه وآله وقال **(إنّي لست كأحدكم إنّي أبيت يطعمني ربي ويسقيني)**[5] لأنه المثل الأعلى . قالت عائشة زوج محمد صلى الله وبارك عليه وآله **(أول بلاء حدث في هذه الأمة بعد نبيها الشبع )**[6] .

وحينما يستطيع الإنسان أن يصبر عن شهواته فقد استمسك بالطريق الأمثل لإدراك المعرفة والتحقق بالكلية . إذ أن الشهوات هي التي تدفع الفرد إلى

---

[1] سورة البقرة : ١٥٣ .
[2] سورة البقرة : ١٥٧ .
[3] سورة الزمر : ١٠ .
[4] البخاري .
[5] مسند أحمد .
[6] الترغيب والترهيب للمنذري .



www.abugroon.com

التعدي والظلم . والمتعدي قد ظلم نفسه لا غيرها قال تعالى ﴿**... وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ...**﴾[1] وبظلمه نفسه أي بتعديه يحصل الضرر للجسد الكلي إذ أن المتعدي باغ وبغيه عائد عليه باعتبار الكلية . ﴿**... يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم ...**﴾[2] .

ورب قائل : إنه لولا الشهوات لا تستقيم الحياة ، فإذا عطل الإنسان شهواته وترك الطعام مثلاً فإنه سيموت حتماً .

فأقول إن الموت لا يأتي نتيجة لترك الطعام ، إذ لو كان كذلك لما مات شبعان ، ولكن الموت يأتي نتيجة لانقضاء الأجل الذي كتب للإنسان يوم نفخ فيه الملك الروح في رحم أمه ، كما كتبت سعادته أو شقاؤه وعمله ورزقه ، أما الجوع فيمكننا أن نقول هو سبب قد يؤدي للموت ولكن النتائج ليست حتمية الوقوع بالأسباب لأن النتائج بيد الله . فإبراهيم عليه السلام قُذِف في النار مكتوفاً ، ولم تحدث النتيجة التي هي الإحراق ، وعيسى عليه السلام رغم عدم وجود زوج المريم عليه السلام حدثت التنيجة وهي الحمل والولادة . فيجب الإيمان بأنّ النتائج بيد الله سبحانه . ولو فرضنا أن قمع شهوة البطن وترك الطعام أدى إلى الموت فليس الموت في ذاته إنعداماً للإنسان إنما هو انتقال من مرحلة إلى أخرى الفرق بينهما هو أن الإنسان إعتاد وألف هذه الحياة ، ويجهل المرحلة التي تليها أي مرحلة ما بعد الموت، وهذا ما يجعل الإنسان يحبّ الحياة ويتشبث بها ويكره الموت لجهله بما بعده، وما يدل على أنّ الموت إنتقال المرحلة أخرى كلام علي بن أبي طالب عليه السلام **(الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)**[3] .

ومهما كان الإنسان ضيقاً من حيث المعرفة فإن العبادات وخاصة الصوم - وهو الصبر عن شهوة البطن وكافة الشهوات الجسدية - يجعل منه شخصاً قوي الإحتمال ، ويخرجه عن أنانيته الضيقة المتمثلة في متابعته لشهواته ،

---

[1] سورة الطلاق : ١ .
[2] سورة يونس : ٢٣ .
[3] الدرر المنتثرة للسيوطي .



www.abugroon.com

وحصر تفكيره فيها وتحصيلها بكل السبل . وبالتالي يعكس فكره إلى التفكر في نفسه المجهولة هذه بدلاً من التفكير والبحث والجري وراء الشهوات . كما أن قمع الشهوات يؤهل الإنسان لإدراك الكثير عن المرحلة التي هو مقبل عليها وهي مرحلة ما بعد الموت . وما مُدح جامع المال بماله ، ولا صاحب متعة بمتعته ولا صاحب الموائد الدسمة بطعامه بل ذم أولئك أقرب لدى كل ذي هم بمعرفة نفسه التي هي معرفة الحقيقة فإنّ (من عرف نفسه فقد عرف ربه) . والله تعالى ذمّ كل الشهوات أو على الأصح ما تشتهيه النفس في الدنيا لأنه يحجب الإنسان عن التفكر في نفسه قال تعالى **﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ...﴾**[1] والباقيات الصالحات هي العمل الصالح والعمل الصالح هو العلم النافع : سئل رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله (أي الأعمال أفضل ؟ قال : العلم بالله) فالسؤال كان عن العمل فأجاب صلى الله وبارك عليه وآله بأن العلم بالله هو أفضل العمل .

وقال **(اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها)**[2] فأفضل الأعمال هو العلم النافع **﴿... وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾**[3] وهو ثمرة العمل المخلص قال تعالى **﴿... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ ...﴾**[4] وقال تعالى حاضاً على ترك شهوات النفس في الدنيا **﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾**[5] .

فعلى الإنسان ألا يحصر نفسه الكلية هذه على الحياة الدنيا وحدها لأنها من الصغر بحيث لا تكاد تذكر بجانب الأخرى .. قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **(ما مثل الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه**

---

[1] سورة الكهف : ٤٦ .
[2] مسلم .
[3] سورة طه : ١١٤ .
[4] سورة البقرة : ٢٨٢ .
[5] سورة التغابن : ١٥ .



www.abugroon.com

**في اليم فلينظر بم يرجع)**[1] بل عليه أن يعدها للمرحلة التي تليها ، وقال صلى الله وبارك عليه وآله **(الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت)**[2] ولكن النفس جبلت على حب ما ألفته ، والخوف من الخروج عن هذا المألوف وإن كان في هذا المألوف نقصها وعدم كمالها .. ولذلك جعلت مجاهدة النفس هي الجهاد الأكبر ليتحرر الإنسان من عبودية شهواتها ومألوفاتها فينطلق عقله في ميادين العلم باحثاً عن الحقيقة وليقيد هذه النفس بعقال العلم ليرتفع عن الدنيا ويحط الرحال في مقام القلب العالي الذي يستطيع إدراك الإلهيات ، ولذلك نجد القرآن الكريم وهو **﴿... يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ...﴾**[3] قد ذمّ الركون إلى الحياة الدنيا ، لأنها مدار شهوات النفس وهي أمر عارض على الإنسان وتنقضي وتفنى - والإنسان باق - ولذلك حينما يذكرها الله جل شأنه في كتابه الكريم يذكر فناءها وعدم خلودها **﴿...مثلَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ...﴾**[4] وبما أنها فانية فالركون إليها جهل وضياع وعبث قال تعالى **﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ...﴾**[5] وقال جل من قائل **﴿وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾**[6] .. وليس الإعداد للآخرة هو نهاية القصد إنما القصد لقاء الله في الآخرة .. اللقاء الخالد في الحياة الخالدة . وذكر الآخرة والتحذير من الدنيا وزخرفها من دعائم العلم لأنه باعث للتفكير : ويحثُّ الإنسان على حسن المعاملة هنا وترك كل رذيلة رجاء الفوز هناك فتسلم منه نفسه الكلية هنا أو الجسد الكلي من تصرفاته المؤذية فيكون بذلك مسلماً لأن **(المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)**[7] فيستقيم هنا ليستقيم هناك لأنه **(يبعث كل عبد على ما مات عليه)**[8]..

---

[1] سنن ابن ماجة .
[2] سنن الترمذي .
[3] سورة الإسراء : ٩ .
[4] سورة الكهف : ٤٥ .
[5] سورة الحديد : ٢٠ .
[6] سورة الإسراء : ٢١ .
[7] البخاري .
[8] مسلم .



www.abugroon.com

**(أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة)**[1] . وقال صلى الله وبارك عليه وآله : **(اصنع المعروف في أهله وفي غير أهله فإن أصبت أهله فهو أهله وإن لم تصب أهله فأنت من أهله)**[2] .

والإستقامة هي العلامة الكبرى لإدراك الكلية والمحافظة على أداء حقوق هذه المكانة الرفيعة .. فبعد إدراك الكلية قد يضل الإنسان ويكون قد أضله الله على علم **﴿... قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾**[3] وليس للإنسان من نفسه فعل في نفسه ولا فاعل فيه غير الله .. ومنهم من يدرك الكلية فيحفظه الله بعد العلم فيستقيم بمتابعة النبي الأمي ، واقتفاء أثره حتى مفارقة هذه الحياة الدنيا ويكون في حالة استقامته شاكراً لله لأنه هو الذي أخذ بناصيته على الإستقامة **﴿... ما مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مستقيم﴾**[4] والإستقامة هي التي ينشدها المسلم وهي المقصودة في السير لأنها أقصر الطرق إلى الله لذلك جعل الله طلبها مخ العبادة لقول الرسول صلى الله وبارك عليه وآله **(الدعاء مخ العبادة)**[5] والدعاء هو الطلب وطلب الإستقامة فرضه الله على المسلمين ليرددوه عشر مرات على الأقل في كل يوم قال تعالى **﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾**[6] وهذا الدعاء في كل صلاة فرضية . قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **(شيبتني هود وأخواتها)**[7] قيل : ذلك لقول الله تعالى **﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ...﴾**[8] . فالمدرك للكلية يعلم أنّ قلب المرء بين أصبيعين من أصابع الرحمن ورغم ذلك هو مأمور بالاستقامة .

---

[1] مصنف ابن أبي شيبة .
[2] تخريج الإحياء للمحدّث العراقي .
[3] سورة الرعد : ٢٧ .
[4] سورة هود : ٥٦ .
[5] سنن الترمذي .
[6] سورة الفاتحة : ٦ .
[7] مصنف عبد الرزاق .
[8] سورة هود : ١١٢ .



www.abugroon.com

وأهل الإستقامة هم الذين تخاطبهم الملائكة وتحييهم وتبشرهم ويكلمونها كما ورد في صحيح البخاري من أن عمران بن حصين رضي الله عنه كانت تحييه الملائكة . وقد قال تعالى في محكم التنزيل **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا ..﴾**[1] .

والإستقامة هي أن يرى الفاعل في كل شيء من خير أو شر هو الله وحده ويتبع الرسول .. والله جل شأنه خير مطلق ولكن ما يراه الإنسان من فعل الشر إنما هو شر بالنسبة لعلمه هو وليس بالنسبة للعلم الإلهي . وكراهية الإنسان للأشياء ناتجة عن ظنه في أنها شر ، أو قل من علمه بأنها شر . والإنسان ما أوتي من العلم إلا قليلا ، فعسى أن يكره شيئاً لعلمه أنه شر ، وهو في الحقيقة في علم الله خير كثير .. ولكنه غاب عن إدراكه هذا الخير. فعلى الإنسان أن يرى كل فعل من الله ، كان ذلك خيراً أو شراً في نظره ، كما عليه أن يعتقد فيما يراه شراً أنه خير كثير - ولولا ذلك ما أراده الله – ولكن غابت عنه حكمة إرادته وناحية الخير فيه .. فوالله ما نظن في الله إلا خيراً وكل ما نراه غير ذلك من فعل الله نقول أن الحكمة فيه وناحية الخير غابت عن إدراكنا لأن علمنا قاصر **﴿... وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾**[2] وحادثة العبد الصالح مع موسى عليه السلام أكبر شاهد على قصور العلم الإنساني ، حيث أن العبد الصالح الذي قال فيه تعالى **﴿... عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾**[3] هذا العبد الصالح قتل نفساً بريئة بغير ذنب! ترى أين الحكمة؟ وأين الخير في قتل طفل بريء ؟؟ بالنسبة للإنسان العاقل هذا شر محض وهذا ما جعل نبي الله ورسوله موسى عليه السلام يعترض منكراً ذلك الفعل - ليس لجهله به بل لأن شريعته التي تخاطب العقل الإنساني تفرض عليه ذلك - ولكن كانت جريمة القتل تلك عند الله خيراً **﴿... وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ...﴾**[4] فلو استشير

---

[1] سورة فصلت : ٣٠ .
[2] سورة الإسراء : ٨٥ .
[3] سورة الكهف : ٦٥ .
[4] سورة البقرة : ٢١٦ .



www.abugroon.com

والدا هذا الطفل في قتله هل كانا يوافقان مهما كانت قوة الحجة؟ لا أظن ذلك إذا حكمنا العقل الإنساني ، ولكن بما أن فيه خير لهما والله عالم بذلك نفذ حكمه فيه بقتله رحمة بهما وعلى كره منهما ، فالله رءوف بالعباد لطيف ودود وعلى الناس أن يظنوا الخير في أفعال الله وأن لا يُنكروا ما لا يعلمون قبل التحقق فقد يكون نتيجة علم لدني . وأما ما يرونه من شر فذلك نسبة لقلة علمهم بالحق فعليهم بالإستغفار من علمهم لأن الله تبارك وتعالى يقول **﴿... والله يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾**[1] . ودعوى العلم أعظم من الذنوب الكبائر فقد كانت سبباً في طرد إبليس من الحضرة الإلهية لأن دعوى العلم والفتوى يصحبها التكبر بينما معصية آدم لم تحرمه من إصطفاء الله له لأنها لم تكن بفتوى أي بدعوى علم بل عن ضعف نفسي .

فإذا رأى الإنسان أن كلّ فعل هو من الله تبارك وتعالى ، وأنّ كل الأفعال في الحقيقة خير فقد استقام إذا ظل ملازماً ومتابعاً - رغم ذلك - لسنة النبي صلى الله وبارك عليه وآله .

وما عليه بعد ذلك إلا أن يقوم بأداء حق مرتبة الإستقامة وهي الشكر لله على أن رضيه لها أهلا – وهو قادر على أن يجعله عاصيا - لأن الشكر عقال النعم وتلك أكبر نعمة أن يرتضيك الله ويقيمك على عبادته ومتابعة نبيه الكريم . والذين استقاموا هم الشكورون لأنهم يرون منة الله عليهم في استقامتهم وهم قليل . قال تعالى **﴿... وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾**[2] اللهم نسألك الإستقامة والشكر عليها . فالشكور هو عبد الله القليل الوجود .. والشكور هو إسم الله وكل ولي هو إسم من أسماء الله كما ذكرنا فالله هو الولي **﴿...وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الحَيَاةِ الدُّنْيا ...﴾**[3] ولا سبيل لتعلمهم ما لم يتبعوا سنة الرسول صلى الله وبارك عليه وآله ويحسنوا الإتباع وأداء العبادات ويتركوا الشهوات ويخلوا بطونهم قال رسول الله

---

[1] سورة البقرة : ٢١٦ .
[2] سورة سبأ : ١٣ .
[3] سورة الروم : ٦ – ٧ .



www.abugroon.com

صلى الله وبارك عليه وآله **(ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن)**[1] وقال أيضاً **(حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه)**[2] فالعبادات كما ذكرت ما شرعت إلا لتعلم الناس بأقصر الطرق ، والصوم وخلو المعدة أفضل العبادات لزيادة العلم والله أعلم . وقد ورد أن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله كان يجوع من غير إعواذ .

[1] مسند أحمد .
[2] السنن الكبرى للنسائي .


www.abugroon.com

# حج البيت

الركن الخامس من أركان الإسلام هو حج البيت . وكما ذكرت آنفاً فإن أقصر الطرق كي يعرف الإنسان نفسه – ومن عرف نفسه فقد عرف ربه - هو الدين أي الإسلام الذي جاءت به رسل الله ، لأنه سلوك . ويصل الإنسان لكليته هذه بسلوكه أي بمعاملته مع الناس ومعاملته مع الله . والكلام النظري غير ذي جدوى كما أنه لا يثبت بل ربما يؤدي إلى الجدل المنهي عنه . والطريق الأمثل للعلم هو العمل أي المعاملة مع الله والناس بما شرعه الله لأنه هو العالم بهذه النفس وبأمثل الطرق التي توصلها إليه . والعقل البشري قاصر عن إدراك ناحية الخير عند الله فيتألم ويفزع من كل حادث لا يدرك ناحية الخير فيه! بل قد يثقل على الإنسان الجاهل القيام بالعبادات على الرغم من أن الله تعالى قد بين أن فيها الخير المنتهي بالوصول إليه . فنجد النفس تخلد إلى الراحة والبقاء فيما ألفت والإستمرار فيه لكن الله أعلم منها بخيرها فاختط لها الطريق المستقيم بواسطة الرسول صلى الله وبارك عليه وآله . والإنسان الجاهل يجد الصعوبة والمشقة في الإلتزام بهذا الطريق.

وقد ذكرنا أربعة أركان من هذا الطريق المستقيم وعلينا الآن أن نورد الركن الخامس والأخير وهو الحج .

الحج لمن لم يدرك الكلية بعد ، فيه مشقة عظيمة من عناء السفر الطويل المضني - لأن السفر قطعة من العذاب[1] - مع بذل المال الذي ادخره الإنسان من عرقه وجهده . جاء في الحديث **(من ملك زاداً وراحلة تبلّغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً)**[2] وقال رسول الله صلى

[1] مسلم .
[2] سنن الترمذي .



www.abugroon.com

الله وبارك عليه وآله **(أيها الناس إن الله عز وجل قد فرض عليكم الحج)**[1] فقيل له أفي كل عام يا رسول الله ؟ وردد السائل ذلك فقال صلى الله وبارك عليه وآله **(لو قلتها لوجبت وَلَوْ وَجَبَتْ لَمْ تَعْمَلُوا بِهَا وَلَمْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْمَلُوا بِهَا الحج مرة فمن زاد فهو تطوع)**[2] .

ذكرنا قبل ذلك في الزكاة : أن الإنسان الذي لم يدرك كليته بعد ، يصعب عليه إخراج ما ادخره من دراهم لاعتقاده الغيرية ، ولكن بعد أن يدرك كليته يعلم أن ما يقدمه إنما هو لنفسه لا لغيره وكل الصعوبة والمشقة ناتجة عن قصور الإنسان وقلة علمه . ومبلغ العلم أن يعلم الإنسان المتصدق أنه تصدق لنفسه لا لغيره ، وليعلم من حصل له أذى - ممن يعتقد أنه غيره من جماد أو حيوان أو إنسان - ليعلم أن الأذية من نفسه لا من غيره **(إنما هي أعمالكم ترد عليكم)**[3] فالمتصدق لم يفعل شيئاً لغيره ، والصابر لم يصبر على أذى غيره والعافي إنما عفى عن نفسه لئلا يزداد الضرر على الجسد الكلي ، والمؤذي إنما أذى نفسه والمحسن كذلك .. لذلك لا يكون الفاعل قد فعل شيئاً يوجب له أجراً من الله لأنه لم يفعل شيئاً في الحقيقة إنما عامل نفسه - التي أدرك كليتها بسلوكه بما يحب . وبعد ذلك إذا شاء الله أكرمه وإن شاء أذله .. ولكن الله تبارك وتعالى يقول **﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...﴾**[4] فالإنسان إذا جاهد لإدراك كليته وأدى أركان الإسلام الخمس من شهادة وصلاة وزكاة وصوم وحج وأحسن أداءها وعامل الناس بما يحب لنفسه وتيقن أن الله لا يريد له إلا الخير ، بل الله خير مطلق ، وأن الشر من نفوسنا لقصورها عن فهم الخير فيما تراه شراً فقد جاهد في الله ليأخذ بيده .. قال تعالى **﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ الحَسَنَةِ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ...﴾**[5] فالشر ليس من الله لأن الله خير مطلق بل من أنفسنا لظننا أنه شر لعلمنا

---

[1] سنن النسائي .
[2] مسند أحمد .
[3] مجموع الفتاوى لإبن تيمية .
[4] سورة العنكبوت : ٦٩ .
[5] سورة النساء : ٧٩ .



www.abugroon.com

القاصر **﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ﴾**[1] فلو ظننا أنه خير فهو خير لأن الله عند ظن العبد (فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر) .. إذا جاهد الإنسان بأداء أركان الإسلام كما ذكرت وأحسنها فإن الله وهو الكريم المجيب سيأخذ بيده إلى المرتبة التي تلي إدراك الكلية - التي هي التوحيد أي الإسلام - إلى مرتبة الإيمان ثم الإحسان ثم ... إليه تعالى **﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾**[2] .

والحج بما فيه من مشقة السفر والغربة فيه إشارة إلى السير إلى الله أي المعرفة ، والحج عرفة . وهو مثال حسّي له قال تعالى **﴿الحجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الحج...﴾**[3] ويُفهم من بعض تأويل هذه الآية أن السير إلى الله أشهر معلومات هي عمر الإنسان في الحياة (فمن فرض فيهن الحج) - ولا يكون ذلك إلا بعد التوبة - أي فمن تاب وفرض على نفسه السير إلى الله فشروط السير معروفة موضحة بالكتاب والسنة ولا وصول إلى الله بغيرها وهي **﴿**... فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ ...**﴾**[4] والرفث هو عمل يُوجب الطهارة بعده ، والمنع من الرفث هنا إشارة للمنع عن كل عمل يؤدي إلى عدم الطهارة القلبية والبدنية . والسالكون إلى الله كلهم هذه شروطهم بل من شروطهم الجهاد لتأدية هذه الشروط بإحسان . وكما ذكر الرسول صلى الله وبارك عليه وآله أن **(الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ ويده)**[5] فلا مجال لفاسق أن يدرك عظمة الإسلام وقمته . لذلك فإن الفسوق من معوقات السير إلى الله وقواطعه . والجدل علامة الجهال ، فما دام الإنسان مرائياً ومعجباً برأيه فإنه أكثر الناس بعداً عن الإسلام والعلم ، غارقاً في الجهل ، إذ لو علم لتيقن أنه ليس هناك غيره ليرائيه أو ليعجب بنفسه أمامه . فكل من تكلم وأحب أن

---

[1] سورة فصلت : ٢٣ .
[2] سورة النجم : ٤٢ .
[3] سورة البقرة : ١٩٧ .
[4] سورة البقرة : ١٩٧ .
[5] البخاري .



www.abugroon.com

يستمع الناس إليه ويأخذوا عنه فهو معجب وهو جاهل بالكلية وبالطريق الأمثل للمعرفة التي لا تنال إلا بالتقوى . قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **(من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم)**[1] وقال أيضاً **(إني لا أخاف عليكم فيما لا تعلمون ، ولكن انظروا كيف تعملون فيما تعلمون)**[2] . وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه «من أحب أن يُسمع كلامه إذا تكلم فليس بزاهد» والزهد مرحلة من مراحل السير لإدراك الكلية . لأنّ الدنيا كما قلنا فانية عارضة على الإنسان . فعليه ألا يركن إليها بل عليه أن يعمل لما بعدها كما ورد في الحديث : **(الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت)**[3] فمن لم يزهد في هذه الدنيا ويعمل لما بعدها فهو جاهل . ويجب ألا يسمع كلامه ولا يؤخذ عنه لأنه قصير النظر قد رضي بما هو زائل وفضله على ما هو باق . والعارفون هم الذين **﴿... يَشْرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ ..﴾**[4] .

وإدراك الكلية لا يصله إلا أولو العزم والقوة والفكر والنظر البعيد والسبيل الوحيد إليه هو سلوك الطريق التي اختطها محمد صلى الله وبارك عليه وآله بحذافيرها ، وإعطاء كل ذي حق حقه أثناء هذا السلوك . فهذا العلم لا يأتي بالقيل والقال ولا بكثرة السؤال والبروز للجدل ، فكل ذلك منهي عنه في الإسلام **(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)**[5] . إنما الطريق معاملةٌ بإحسان وسلوكٌ بإتقان وهو التقوى قال تعالى **﴿... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾**[6] والشرائع والعبادات في الإسلام هي أقصر الطرق للوصول لقمة الإسلام التي جاءت الرسالات كلها بها وهي إسلام النفس الكلية هذه لله رب العالمين والتيقّن أن كل ما يحدث فيها ومنها هو فعل الله

---

[1] تخريج الإحياء للعراقي .
[2] شعب الإيمان للبيهقي .
[3] سنن الترمذي .
[4] سورة النساء : ٧٤ .
[5] البخاري .
[6] سورة البقرة : ٢٨٢ .



www.abugroon.com

لأنه خالقها وخالق أعمالها **﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾**[1] ولذلك كانت شرائع الإسلام والعبادات فيها مشقة على من جهل الجهله ولحكمه على الأشياء بعقله ، وعدم رضائه بفعل الله وذلك لعدم ثقته بالله ، لأنه ما يزال يرى أن في فعل الله شراً ؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . فالله لطيف بعباده والله رؤوف ودود ولا يريد إلا خيراً لأنه خير مطلق ولكن أكثر الناس لا يعلمون لأننا ما أوتينا من العلم إلا قليلاً .

والله جل شأنه أكثر شوقاً وفرحاً برجوع عبده إليه من فرح العبد برجوعه إلى الله ، فقد ورد عن رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله فيما يرويه عن ربه أنه قال **(من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب مني شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)**[2] فإذا أتى العبد في سلوكه إلى الله يمشي أتاه الله هرولة وهذا تعبير مجازي ... ولهذا ولحب الله للعبد اختط له أقصر الطرق إليه وهو الإسلام **﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ...﴾**[3] . والإسلام هو ما جاءت به كل الرسل **﴿... لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رسله ...﴾**[4] . ولهذا كانت المحبة هي الغاية القصوى من الدين فمن كان الحب دينه وغاية مقصده فقد أدرك السبيل الموصلة لأن الله جل شأنه لم يتخذ حبيباً قبل محمد صلى الله وبارك عليه وآله من الرسل وغيرهم لأن المحبة هي القمة ، ولكنه اتخذ يوسف عليه السلام صديقاً واتخذ داؤد خليفة ، واتخذ إبراهيم خليلاً ، وكلم موسى تكليماً ، واختص محمداً صلى الله وبارك عليه وآله بالمحبة والخلة والصحبة والرؤية والخطاب . فكان الله جل شأنه صاحب محمد صلى الله وبارك عليه وآله وكان الله خليفة محمد صلى الله وبارك عليه وآله .. قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله

---

[1] سورة الصافات : ٩٦ .
[2] حلية الأولياء .
[3] سورة آل عمران : ٨٥ .
[4] سورة البقرة : ٢٨٥ .



www.abugroon.com

**(اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل)**[1] اللهم نسألك العلم النافع وحسن الأدب مع من كنت صاحبه وخليفته ، من جعلت طاعته طاعتك وبيعته بيعتك ورميه رميك .

والمحبة كما ذكرت هي الغاية فمن أحب الله كان الله له أحب ويدافع عنه **﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ...﴾**[2] لأن الله يتقرب للعبد أكثر مما يتقرب العبد إليه و**(لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما)**[3].

لا يوقفنك في الحضيض تأدب

أدب الفتى طلب الحبيب الأول

فمن أحبه الله كان هو الإسم (الولي) أي أحد الأسماء الإلهية الحسني الدال على الذات وهو الولي **﴿... فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ ...)**[4] لأنه يكون سمعه الله وبصره ويده ورجله أي هو الإسم الأعظم الدال على الله .

والحج كما ذكرنا دليل ومثال حسي للسير إلى الله ، والسير إلى الله لا ينتهي ولا ينقطع فمن وصل إلى الله سار في الله الواسع وغرق في بحار المعرفة إلى ما لا نهاية . وقد سئل الشبلي رضي الله عنه عن المعرفة فأجاب : أولها الله ، قيل له : ونهايتها ؟ فأجاب : ما لا نهاية له . والحج - أي السير إلى الله - **﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مُقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً ...﴾**[5] ومقام إبراهيم في السير إلى الله هو الخلة **﴿... وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾**[6] فمن أصبح خليلاً لله فقد أمن من عذاب الله ومن رضي بغير الله خليلا سيقول **﴿يَا ويلتى لَيْتَنِي**

---

[1] مسلم .
[2] سورة الحج : ٣٨ .
[3] مسند أحمد .
[4] سورة الشورى : ٩ .
[5] سورة آل عمران : ٩٧ .
[6] سورة النساء : ١٢٥ .



www.abugroon.com

**لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً﴾**[1] ومقام الخلة هو مقام التوكل وبيانه أن إبراهيم عليه السلام حينما أضرمت له النار وقذف فيها بالمنجنيق نزل عليه جبريل وهو مقذوف في طريقه إلى النار وسأله : ألك حاجة ؟

قال : أما إليك فلا .

قال : إلى الله ؟ قال : نعم

قال : فاسأله

أجاب : علمه بحالي يغنيني عن سؤالي . فهذا هو الصبر والتوكل والظن الحسن في الله فقال تعالى **﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾**[2] والتوكل هو من أرقى المقامات قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **(لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتعود بطاناً)**[3] ومن يتخذ الله خليلاً فقد فاز لأنه سيبعث على دين خليله وهو الله لقول رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **(المرء على دين خليله)**[4] وباتخاذه الله خليلاً يكون قد دخل **﴿... مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً ...﴾**[5] نسأل الله الأمان وألا يجعلنا ممن يأمنون مكره . وفي هذا المقام يعلم الإنسان كيفية إحياء الموتى وتقصر عن إدراك أعماله وأقواله عقول من هم دونه **﴿... وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾**[6] **﴿... وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً﴾**[7] والمنكرون لذلك ليس لهم قلوب يفقهون بها **﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾**[8].

---

[1] سورة الفرقان : ٢٨ .
[2] سورة الأنبياء : ٦٩ .
[3] أحكام القرآن لابن عربي .
[4] مسند أحمد .
[5] سورة آل عمران : ٩٧ .
[6] سورة يوسف : ٧٦ .
[7] سورة الإسراء : ٨٥ .
[8] سورة يونس : ٣٩ .



www.abugroon.com

# الموت

هناك سؤال تجدر الإشارة إليه وهو أنه إذا كانت هذه العبادات فيها مشقة على الإنسان الجاهل بالكلية فلماذا يقوم بها ويتكبد هذه المشاق وربما كان غير راغب في معرفة الكلية ولا يريدها ؟ .

والإجابة هي أن هناك سر عظيم أودعه الله في هذه الحياة الدنيا ، وهو عندما يفكر فيه الإنسان بتمعن تصيبه منه رهبة وخوف شديد وهذا السر العظيم المبهم هو الموت وليس هناك مفر منه الجاهل أو لعالم وهو نهاية حتمية محققة الوقوع لهذه الحياة الدنيا .. ثم ماذا بعد الموت؟ .

والإجابة هنا تختلف باختلاف درجات العلم فنقول - ولنفترض أقل درجات العلم - إن بعد الموت المجهول .. فهذا المجهول نفسه أكثر رهبة من الموت لأن الموت مرحلة والإنسان يريد السلامة في ذلك المجهول الذي بعده وطريق السلامة في ذلك المجهول هي القيام بهذه العبادات التي فيها الجوع والتعب والسهر والمشقة والمعاملة الحسنة لهذا الجسد الكلي بإخلاص ، أي الرعاية لحقوق الله في كل حال وذلك لا يكون إلا باتباع الرسول صلى الله وبارك عليه وآله في جوعه وسهره **﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً﴾**[1] وصلاته وحجه ومعاملته . والإنسان لا ينتهي بانتهاء هذه الحياة كما أنه لم يكن بدؤه بمولده فالإنسان موجود أزلاً في علم الله ثم في عالم الذر حين قال تعالى **﴿... أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ...﴾**[2] .

وقد أجاب كل إنسان ببلى هذه وهو موجود هناك ولكن وجوده في مرحلة من مراحله المتعددة .. فإذا ولد إنسان اليوم فليس هذا فعل الله اليوم - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً -ولكنه فعل الله أزلاً فقد **(جفت الأقلام**

---

[1] سورة المزّمِل : ٢ – ٣ .
[2] سورة الأعراف : ١٧٢ .



www.abugroon.com

**وطويت الصحف)**[1] أما ما نراه من أفعال وتغيرات وظهور بعض الناس في الحياة بالوضوع ما هي إلا أن هذا الإنسان مر بمراحل متعددة وهو الآن يمر بمرحلة الحياة كغيرها من المراحل ثم يعبرها إلى البرزخ ثم من البرزخ إلى دار القرار الجنة أو النار ثم إلى ربك المنتهى ..

فالإنسان كلي من البداية .. من علم الله ، من قوله بلى ، ولكنه على مراحل يمر بها . منها هذه الحياة الدنيا . وليست الحياة الدنيا بدايته كما أنها ليست نهايته . فبدايته في علم الله وبذلك فهو قديم بهذه النسبة ونهايته إلى الله وعلى هذا فهو كلي من حيث الزمن لأنه قبل الحياة الدنيا كما أنه سيظل بعدها !! فالحياة الدنيا مرحلة يمر بها أو في الحقيقة مرحلة تمر به والله أعلم . قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **(كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد)**[2] ورغم كونه نبي قبل بروز آدم للحياة فقد ولدته السيدة آمنة بنت وهب عام الفيل .

والإنسان يتكبد المشاق في العبادات وغيرها من سلوك الطريق المستقيم لأنه يخشى الموت وما بعده قال رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله **(كفى بالموت واعظاً)**[3] والخوف من أقوى الدوافع للعمل . فيُجهد الإنسان نفسه في العمل رجاء الفوز بالنجاة في الحياة الآخرة قال تعالى **﴿... وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ...﴾**[4] فإذا أتقن العمل نتيجة للخوف ، يتملكه بعد ذلك الرجاء في النجاة في المرحلة المقبلة والخوف والرجاء هي الأسباب التي تسوق العبد إلى الله لأن الخوف وحده يؤدي لليأس والقنوط وذلك منهي عنه لقوله تعالى **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ...﴾**[5] والرجاء وحده يؤدي

---

[1] المعجم الكبير للطبراني .
[2] مصنف ابن أبي شيبة .
[3] شعب الإيمان للبيهقي .
[4] سورة آل عمران : ١٨٥ .
[5] سورة الزمر : ٥٣ .



www.abugroon.com

للتفريط في الواجبات ﴿... **فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[1] . والله تعالى خلق هذه الأسباب لأنه يحب أن يؤوب إليه عبده والله أشد فرحاً برجوع عبده إليه لأنه ودود لطيف . فالخوف والرجاء سوطان من سياط الله يسوق بهما عبده إليه .

[1] سورة الأعراف : ٩٩ .



www.abugroon.com

# خاتمة

ما قصدت بهذا المؤلف أن أبين نظرية جديدة أو أدعو إلى فكرة مبتدعة ، بل كل قصدي أن أشرح ما استطعت من سنة من أوتي جوامع الكلم على ضوء رؤية العارفين من أهل العلم بالله ، وهم فئة قد يجهل كثير من الناس فهمهم وتعبيراتهم إما لقصور أو رفض مسبق أو جحود أو تحزُّب . وكلام من أوتي جوامع الكلم صلى الله وبارك عليه وآله لا تحده حدود ، ولكنه كان كما قال **(أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم)**[1] لأنه صلى الله وبارك عليه وآله لم يكن جدلياً بل نهى عن الجدل ولم يبرهن للناس بمقاييس جدلية كما في علم المنطق إنما كان صلى الله وبارك عليه وآله معلماً بحاله ككل بملبسه بتفكيره بأكله وشربه وحديثه .. كان يعلم أصحابه إتقان العمل والإخلاص فيه ، إذ أن ذلك هو السبيل الوحيد لأخذ المعرفة من منابعها ، لأن المعرفة لا تُقتنى بدراسة كتاب أو متابعة شروح سوى كتاب الله سبحانه وأحاديث رسوله صلى الله وبارك عليه وآله . لأن الله قد جعل السبيل للمعرفة والعلم التقوى ليس غير ، ولم يأمر بغيرها وهذا إعتقادنا للتعلم ، قال تعالى **﴿... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ...﴾**[2] فالعلم يأتي تبعاً لتقوى الله ، فيتفتح العقل الإنساني ويكبر ويتسع للجميع ويخرج من كل ضيق **﴿... وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً﴾**[3] . ثم يلزم مرافقة الصادقين لقوله تعالى **﴿... اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾**[4] .

فليعلم القارىء أني ما قصدت بهذا الكتاب أن أعلمه شيئاً إنما هي تذكرة ، والأمر بيد الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء . ولكنه كلام أراد الله لي أن أسطره ولا أدري لخير أريد بي أم لغيره ، ولكن ظني في الله كل خير وقد

---

[1] مجموع الفتاوى لإبن تيمية .
[2] سورة البقرة : ٢٨٢ .
[3] سورة الطلاق : ٢ .
[4] سورة التوبة : ٣٧ .



www.abugroon.com

قال تعالى في الحديث القدسي **(أنا عند ظن عبدي بي)**[1] ولا أعتقد أن الله يريد بي غير الخير ، لأنه كريم شفوق ودود غفور حليم . فرب ما أظنه أو يظنه غيري شراً وضرراً للأمة والدين حسب مقاييسنا العقلية يكون خيراً حسب المقاييس الإلهية ، وذلك **﴿... لمن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾**[2] فالعقل لا يتسع للإلهيات لأنه لا يقبل أن يكون الضار نفسه هو النافع ولا أن يكون الأول نفسه هو الآخر . ولذلك لم ترد كلمة العقل في القرآن الكريم قط . إنما ورد الفعل المشتق منها كقوله «يعقلون» بل ورد ذكر القلب .. القلب الذي يسع الله .. قال تعالى في الحديث القدسي **(ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن)**[3] وهذا يدل على أن المؤمن أكبر من السماء والأرض . لأن قلبه وحده أكبر من السماء والأرض وفي هذا إشارة إلى وسع المؤمن وكليته لأنه خليفة الله الواسع جل شأنه . والمؤمن إسم من أسماء الله . **﴿... وَتَعِيَهَا أُذُنٌ واعية﴾**[4] .

وقد يكون ما يظنه الناس شراً فيه خير كثير لقوله تعالى **﴿... وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ...﴾**[5] وقوله تعالى **﴿... فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كثيراً﴾**[6] لأن العقل يميل إلى رفض ما يظنه شراً . وما حادث الإفك إلا مثال قوي لما أوردتُ فقد قال فيه تعالى **﴿... لا تَحْسَبُوهُ شَرًا لَّكُم ...﴾**[7] ولا أظن بل لا شك في أن أهل العقول لا يرون في حادث الإفك إلا فتنة وشراً أصاب المسلمين قاطبة ، ومس مقدساتهم ، حتى خاض فيه بعضهم .. ولكن أهل القلوب التي تسع الله ، ينظرون إلى ذلك الحادث

---

[1] البخاري .
[2] سورة ق : ٣٧ .
[3] مجموع الفتاوى لإبن تيمية .
[4] سورة الحاقة : ١٢ .
[5] سورة البقرة : ٢١٦ .
[6] سورة النساء : ١٩ .
[7] سورة النور : ١١ .



www.abugroon.com

بالنظرة الإلهية ﴿... **بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ** ...﴾[1] لأن المؤمن ينظر بنور الله[2] فيرون الخير فيما يراه أهل العقول شراً . وفوق كل ذي علم عليم ﴿**وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ**﴾[3] واسع عليم .

ومثال آخر بين أهل القلوب وأهل العقول : وهو أننا نجد أهل العقول يكرهون المصائب لضيقهم . أما أهل القلوب فيعلمون ما قاله المصطفى صلى الله وبارك عليه وآله في حديث معناه أن كل ما يصاب به المؤمن كفارة له حتى الشوكة يشاكها المؤمن[4] . وقال تعالى ﴿... **ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ** ...﴾[5] .

فلا يأبهون الحوادث الدنيا ونوازلها بل لا ينظرون إليها كمصائب إنما ينظرون إلى جانب الخير فيها .

كان أيوب عليه السلام رغم البلاء الشديد الذي ابتلاه به الله عالماً واسعاً ولم يضق حتى أوشك المرض أن يصيب لسانه ، فخشي أن يحرم من ذكر الله فنادى ربه ﴿... **أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[6] ولم يقل أشفني لحُسن أدبه مع الله ، والضرّ الذي خشي منه هو حرمان لسانه من ذكر الله تعالى . وقد جاء في زيارة المريض أنه إذا قال العبد اللهم أرحمه يقول جل شأنه (كيف أرحمه مما به قد رحمته) لأن المرض نوع من أنواع الرحمة التي لا يدرك قيمتها أهل العقول . فنجد أهل القلوب هم السعداء الذين يعتقدون الخير حتى في المصائب ، لأن علم الخير والشر عند الله ليس عندهم . فرب ما يظنونه شراً يكون عند الله خيراً .. فلعلمهم تركوا لله الإختيار لأنفسهم ، ولسان حالهم يقول **(اللهم أقدِر لي الخير حيث كان**

---

[1] سورة النور : ١١ .
[2] الترمذي .
[3] سورة البروج : ٢٠ .
[4] البخاري .
[5] سورة التوبة : ١٢٠ .
[6] سورة الأنبياء : ٣٨ .



www.abugroon.com

**ورضّني به)**[1] فيرون الخير فيما اختاره الله .. إمتثالاً لقوله تعالى **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ...﴾**[2] ولذلك قل إنكارهم لما لا يعلمون ، وتركوا الحكم فيه لله ، ولم يصدروا حكماً على أحد بالكفر أو الخروج عن الملة ، أو بركونه للجن واستخدامه لهم ، قدوتهم في ذلك ما كان بين موسى عليه السلام والعبد الصالح ، حيث أنكر نبي الله ورسوله موسى عليه السلام قبول ما أتاه ذلك العبد الصالح من عمل مخالفاً لشريعته من قتل نفس بريئة ، وخرق سفينة المساكين وبناء الحائط دون أجر رغم سوء الضيافة ، وهي أمور لا تقبلها شريعة موسى ولا أي شريعة في الأرض - لأن الشرائع تخاطب العقول - ولا عقل معتدل يقبل خرق الشرائع والعادات .. إذ كيف يقبل أن يقتل إنسانٌ طفلاً بريئاً عمداً حجته في ذلك أن أبويه مؤمنين ، وخشي عليهما أن يرهقهما هذا الطفل طغياناً وكفراً؟ لعمري أنها لأبشع جريمة ترتكب وأضعف حجة يعتذر بها عن هذا الفعل الشنيع لدى أهل العقول .. قتل غلام صغير بريء عمداً لم يعلم للحياة شيئاً! والحجة في قتله الخوف على أبويه من كفره وطغيانه !!! وصاحب هذه الفعلة الشنعاء النكراء التي يرفضها كل ذي عقل، يقول فيه تعالى **﴿... عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾**[3] .. هذا العلم الذي ظهرت أفعاله مخالفة لكل شريعة!! تعالى الله الواسع العليم الذي علم الإنسان ما لم يعلم .

والإنسان الجاهل يدعي الإحاطة بالعلم فيحكم على أفعال الناس وعلى ما أوتوا من العلم بعقله هو .. فيكفّر من أوتي علماً لدُنّياً خصه به الله كما خص به ذلك العبد الصالح! والله قادر على أن يفعل **﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾**[4] فلم تنقطع الرحمة ولم تتغير الإنسانية ، ولكنها طبيعة الإنسان **﴿... وَكَانَ**

---

[1] البخاري .
[2] سورة الأحزاب : ٣٦ .
[3] سورة الكهف : ٦٥ .
[4] سورة إبراهيم : ٢٠ .



www.abugroon.com

**الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾**[1] فالناس أعداء ما جهلوا ، ولذلك كان صلى الله وبارك عليه وآله يخاطب الناس على قدر عقولهم حتى لا تقع بينهم الفتنة ، وقال علي بن أبي طالب عليه السلام **(أتحبون أن يُكذب الله ورسوله)**[2] .. ولذلك لم يستطع موسى عليه السلام أن يصبر على أفعال ذلك العبد الصالح المخالفة للشريعة الموسوية - لا لجهل منه عليه السلام فحاشا رسل الله الجهل - ولكن لما يطلبه منه مقام الرسالة المكلف بها شرعاً رغم علمه ؛ فاعتراضه لم يكن تعصباً ولا جهلاً ولا رفضاً لا يرتكز على حق .. وحال أكثر الناس لا يستطيعون الصبر على ما لم يعلموا فيبادروا بالإعتراض ثم بالإنكار ، وإن لم يكونوا يرتكزون على حق .. بل حتى الملائكة وهي الأرواح المجردة حين قال لهم الله تعالى ﴿**... إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...**﴾[3] بادروا بالاعتراض والنزاع ﴿**... قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءِ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ...**﴾[4] فرد عليهم سبحانه ﴿**...قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[5] ومن معناها أن علمكم قاصر وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءِ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾[6] .

فلو صبر أهل العقول على ما لم يعلموا ولم ينكروا على أهل القلوب وقالوا «لا علم لنا إلا ما علمتنا» لكان خيراً لهم لأنه ورد في الحديث **(إذا قال للآخر كافر، فقد كفر أحدهما)**[7] ولكنهم لم يصبروا ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بعلمه ...**﴾[8] ولم يعلموا أن طيراً قال لنبي أوتي من الملك طاعة الجن

---

[1] سورة الكهف : ٥٤ .
[2] البخاري .
[3] سورة البقرة : ٣٠ .
[4] سورة البقرة : ٣٠.
[5] سورة البقرة : ٣٠ .
[6] سورة البقرة : ٣١ – ٣٢ .
[7] صحيح الأدب المفرد للألباني .
[8] سورة يونس : ٣٩ .



www.abugroon.com

والشياطين والريح ويعلم منطق الطير والنمل ، قال له طير من رعيته **﴿...أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ...﴾**[1] ولكن إرادة الله اقتضت أن يكون الناس متفاوتين **﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ ...﴾**[2] وهي سنة الله في خلقه **﴿... وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ...﴾**[3] .

وهذا يجعلنا نلتمس العذر لمن ضعفت بصيرته وقصر عقله واضطربت رؤيته ، إذ أن الملائكة وهي الأرواح المجردة التي لا شهوة لها و **﴿... لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾**[4] نازعوا الحق جل وعلا **﴿...أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ...﴾**[5] فكيف بالإنسان الذي خلقت فيه الشهوة وقال تعالى فيه ﴿... وَخُلِقَ الإنسَانُ ضَعِيفاً﴾ [6] .

---

[1] سورة النمل : ٢٢ .
[2] سورة النحل : ٧١ .
[3] سورة هود : ١١٨ – ١١٩ .
[4] سورة التحريم : ٦ .
[5] سورة البقرة : ٣٠ .
[6] سورة النساء : ٢٨ .



www.abugroon.com

اللهم يا من لا إله إلا هو يا جواد يا كريم لك الحمد والعظمة والكبرياء والمنة نسألك ما أنت له أهل ، لا ما نحن له أهل ، وامنح الثواب والعلم لمن قرأ هذا المؤلف ، وتجاوز عن سيئاتنا في العمل والمعتقد ، فإنه لا ناج إلا من أخذت بيده وأنت تغفر الذنوب جميعاً . ولك الحمد كما ينبغي لجلالك وعظيم سلطانك ، والصلاة والبركات على أشرف رسلك وأكرم خلقك وأفضل من وطأ الثرى محمد بن عبدالله صاحب المقام المحمود والحوض المورود والشفاعة الكبرى فاتق الرتق وجامع الفرق ومحمد الخلق . اللهم إنا عاجزون عن أن نصلي عليه صلاة تليق بمقامه .. فصل اللهم أنت عليه كما تحب أن يصلى عليه وعلى آله وبارك وتقبل دعاءنا وحقق رجاءنا ... وصلي اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله .

والحمد لله رب العالمين



www.abugroon.com

# الفهرس


مفتتح ..... ١
**الكتاب الأول الصراط المستقيم** ..... ٤
القضاء والقدر ..... ٦
الإرادة ..... ٩
التسليم ..... ١٥
الحكم على المذنبين ..... ١٩
فساد الإعتقاد ..... ٢١
الندم والحسرة ..... ٢٥
الحلم والغضب ..... ٢٨
المثل الأعلى ..... ٢٩
النية ..... ٣١
الوالي ..... ٣٢
خاتمة ..... ٣٥
**الكتاب الثاني : كُلِّيَّة الإنسان** ..... ٣٧
عناصر الخلق ..... ٤٠
إدراك الكلية ..... ٤٧
لمن كانت الرسالة؟ ..... ٥٤
الصلاة على النبي ..... ٦٠




www.abugroon.com

الذات الجامعة..... ٦٢
الإسلام..... ٦٨
شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ..... ٧٢
الكُفر ..... ٧٤
إقام الصلاة ..... ٨٣
إيتاء الزكاة..... ٨٤
صوم رمضان ..... ٨٦
حج البيت ..... ٩٥
الموت..... ١٠٢
خاتمة ..... ١٠٥
الفهرس ..... ١١٢

تم بحمد الله



www.abugroon.com